جامعات يوسف عليه السلام

﴿رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِ﴾

[يوسف : ٣٣]

بقلم

أ. علي القاضي

مراجعة

د. عبد الحليم عويس



الطبعة الثانية

١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

بين يدي الكتاب

الصراع بين الحق والباطل سنة إلهية ممتدة في التاريخ البشري كله ، لكن الباطل وهو مخادع ومنافق يزعم العقلانية مع أنه دائما يلجأ إلى احط الوسائل وأبشعها في مقاومة الحق .

وهذا الكتاب الذي ألفه الأستاذ المربي (علي القاضي) إطلالة سريعة على بعض صور هذا الصراع ، وهو يفضح أهل الباطل الذين توافرت لديهم الأدلة على براءة يوسف عليه السلام لكنهم مع ذلك هددوه بالسجن إذا لم يمارس الرذيلة ... هكذا قالت زليخا كما ذكر في القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴾ [يوسف : ٣٢]معتمدة على بطش الحكم وقوة السلطة ، لكن يوسف عليه السلام ردَّ معتمداً على الله تعالى وقوة الإيمان وإيثار الآخرة : ﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [يوسف : ٣٣].

فهذا هو منهج الحوار بين أهل الباطل وأهل الحق ، وما زال هذا المنهج مسيطرا حتى اليوم ، ومع ذلك يقول أهل الباطل عن أهل الحق إنهم المتطرفون والمتعصبون والإرهابيون ، وبعد صورة يوسف تتوالى الصور عبر التاريخ ...

لكن عصرنا الحديث - وفي بلاد المسلمين بخاصة - يزدحم بصور القهر والعنف والقمع وأبشع صور التعذيب ، لدرجة أن بعضهم يتصور هذه البلاد وكأنها محكومة بالأسلوب الشيوعي الإلحادي حتى اليوم ...

فقد كانت روسيا الاشتراكية - كذلك - مزدهرة في أساليبها الحوارية بأبشع وسائل التعذيب من أجل حماية حقوق الطبقات الكادحة .

كان أتاتورك في تركيا رمزا لهذا البطش الإرهابي باسم الحرية والديموقراطية ...

وكان استعمار فرنسا الحرَّة للجزائر صفحة سوداء في محاربة الحرية الإرهابية ...

وكان تاريخ مصر الاشتراكية - كذلك - صفحة سوداء في هذا اللون من الحوار الإجرامي الذي يرغم الناس على التبعية والرذيلة .. وإلا فالتصفية والإبادة ...

ليت هذا الأسلوب الوحشي ينتهي من عالم البشر .. وليت بلادنا الإسلامية تعود إلى دينها ...

ويا أيها الطغاة : تذكروا قدرة الله .. واعلموا أنكم رعاة الأمة وحماتها .. لا مروعوها وجزاروها .. وسوف تسألون ...

د. عبد الحليم عويس

ابتلي يوسف عليه السلام بابتلاءات كثيرة ، لقد حقد عليه إخوته وتآمروا عليه ، والقوا به في غيابة الجب ، وجاؤا أباهم عشاءا يبكون لأبيهم الذي كان يحس أنهم سيفعلون معه شيئاً دبروه، ﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَاءُوا عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ ﴾.

وأخذته قافلة من غيابة الجب وحكى القرآن الكريم ذلك ﴿ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا ﴾ ، واستمر فترة حتى بلغ اشده وظهرت رجولته ﴿ وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ واتهمته عند زوجها بأنه أراد بها سوءاً وطلبت أن يعاقب بالسجن أو بتعذيبه عذابا أليماً ، فنفى عن نفسه التهمة وقال : ﴿ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي ﴾ وبعد التحقيق ظهرت براءته ، فقال له رب البيت : ﴿ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ !!

وانتشرت الشائعات ، وقال نسوة من الطبقة العالية : ﴿ ۞ وَقَالَ نِسْوَةٌ

فِي ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾ ، وهنا قالت امرأة العزيز في جراة وتحد : ﴿ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ .

وأحس يوسف بهذه المؤامرة ، فالنسوة جميعا يردنه ، وقد رفض الاستجابة لامرأة العزيز من قبل . فقال في صراحة وجراة ملتجأ إلى ربه طالبا معونته حتى لا يضعف أمام إغرائهن من جهة وأمام تهديداتهن من جهة أخرى : ﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْءَايَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾ ﴾.

يوسف عليه السلام في السجن :

ودخل يوسف السجن ودخل معه فتيان ، وأحس الفتيان بأن يوسف في مكانة روحية تجعله يعرف تفسير الأحلام : ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ ٱلْءَاخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ .

وينتهز يوسف عليه السلام هذه الفرصة ليبث بين السجناء عقيدته الصحيحة القائمة على إعطاء حق الربوبية لله تعالى وحده لا لحكام الأرض الذين أذلوا الناس وأخضعوهم لسلطانهم واستعلوا عليهم ، وبدأ

يوسف عليه السلام يؤدي وظيفته وكأنه افتتح جامعة في السجن يربي الناس بأسلوب الأساتذة الواعين الفاهمين لرسالتهم في هذه الحياة.

بدأ يوسف عليه السلام دعوته مع صاحبي السجن بموضوعهما الذي يشغل بالهما فطمأنهما، وقال إنه سيؤول لهما الرؤيا لأن ربه علمه علماً لدنيا خاصاً جزاء تجرده لعبادة ربه حتى لو وقف أمام الدنيا كلها فقال: ﴿ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ ۚ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾.

وبهذا التأكيد الموحي بالثقة بأنه على علم لدني - لأن الله علمه له - تحدث يوسف عليه السلام إلى صاحبي السجن، وكانت هذه فرصة مناسبة - من الناحية النفسية - ليدخل إلى قلبيهما بدعوته إلى ربه، ثم يسأل صاحبي السجن قائلاً: ﴿ يَٰصَىٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴾، والله سبحانه وتعالى ليس في حاجة إلى أحد من خلقه ولا يريد منهم إلا التقوى والعمل الصالح وعمارة الأرض وفق منهج الله فيستفيدون هم من كل هذه الأعمال، ومع ذلك فإن الله تعالى يعد لهم كل هذا عبادة يجازيهم عليها في الدنيا بالراحة وطمأنينة النفس وفي الآخرة بجنة عرضها السماوات والأرض، وحتى الشعائر التي يفرضها الله تعالى عليهم، إنما يريد بها إصلاح قلوبهم لإصلاح حياتهم.

ويخطو يوسف عليه السلام خطوة أخرى فيقول: ﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾، حينئذ يكون

قد بلغ أقصى الغاية من الدرس الذي ألقاه ثم يؤول لهما الرؤيا .

ومن هنا فإننا نحس بأن السجن يستطيع أن يؤدي وظيفة لا تخطر على بال من أعدوا السجون ليذيقوا أعداء أنظمتهم الذل والهوان ،وهذه الوظيفة قد تكون التعليم من أجل الحصول على شهادة مرغوبة لما لها من أهمية في المجتمع ، وقد تكون إعداد جيل من الشباب للجهاد في سبيل الله تعالى ، وقد تكون تبصرة للمنحرفين عن منهج الخالق سبحانه وتعالى باقتراف الآثام والذنوب أو اعتناق فلسفة من الفلسفات المادية التي تجعلهم ينكرون وجود الله فيشرعون لأنفسهم ويتصرفون فيكل شيء على هذا الأساس ، فيسيرون في طريق الضياع .

وهكذا يعطينا يوسف عليه السلام صورة لجامعة السجن التي تؤدي وظيفة من الوظائف الهامة لكل داعية إلى الله .

وإذا ظن الحاكم أنّ السجن عقوبة لمخالفيه فإن المسجون قد يحس بأنه في السجن معلم أو متعلم وهو يؤدي وظيفته ويطلب الجزاء من الله سبحانه وتعالى الذي وفقه لهذا العمل في السجن وبذلك يستطيع أن يحقق عمارة الأرض - بعد أن يفكّ الله أسرَهُ - طبقاً لمنهج اله فيفوز برضوانه في الدنيا والآخرة .

بدأت إسرائيل تأخذ وضعها المعترف به دولياً على أنها دولة قامت وسط الدول العربية ، وإن لم تكن لها حدود ثابتة نظراً لأطماعها في التوسع المستمر حتى تحقق دولتها التي تقول إنها من النيل إلى الفرات.

وبدأت الصدامات بين الفلسطينيين من جانب وبين إسرائيل من جانب أخر ، وقد كان الفلسطينيون فرقاً مختلفة بعضهم يميل إلى الشيوعية وبعضهم يميل إلى العلمانية وأصبح المهم عندهم الوطن وتراب الوطن ، وكان من نتيجة ذلك أن قامت الصدامات المختلفة بين الفصائل الفلسطينية مما نتج عنه الكثير من الخسائر في الأرواح وفي الأموال وفي غير ذلك .

حمـــاس :

وبعد فترة طويلة ظهرت مجموعة عسكرية من الشباب يرأسها الشيخ أحمد ياسين ، أطلقوا على أنفسهم اسم حماس و وقد أصبحت حماس عنصراً فعالاً في الانتفاضة بعد ما دمجت بين القرآن الكريم والسلاح الذي تحارب به ، وتبنت حماس فكرة الجهاد ضد إسرائيل لكي لا يتم التنازل عن شبر من أرض فلسطين ، وقالوا عن حماس أنها تشكل أكبر خطر على إسرائيل .

وقد استطاعت حماس نزع قداسة القضية من عقول العرب والمسلمين ، والتي حولوها إلى قضية إقليمية ضيقة ، ومن قضية عقيدة ودين إلى قضية تراب ووطن ، وقد حكم على الشيخ أحمد ياسين بالسجن ثلاثة عشر عاما .

وفي السجن التقى بعدد من معتقلي الجبهة الشعبية من أصحاب

الميول اليسارية ، وبعد أن عاشروه في السجن وعرفوه من المناقشة والحوار وفهموا ما يهدف إليه في كفاحه ضد العدو صاروا يقومون بخدمته ويشرفون على طعامه وشرابه ، بل إنهم دفعوا اسمه ضمن قائمة المساجين المطلوب الإفراج عنهم مقابل إطلاق سراح الإسرائيليين عام ١٩٨٥م .

لقد أفرج عنه وخرج من السجن وذهب إلى بيته الذي أصبح ساحة قضاء يأتي إليه المتخاصمون من كل مكان يطلبون الصلح مع إعطاء كل طرف حقه ، وكان رأيه لا يرد ، وحكمه بينهم قضاء .

لقد كان الشيخ أحمد ياسين مقعداً عاجزاً عن الحركة ، ومع ذلك فقد اعتقلوه ، لأنهم يخافون من تأثيره على الناس جميعا وهم لا يريدون ذلك .

أهداف الاعتقالات :

لقد كانت الاعتقالات تهدف إلى :

١- تهدئة الانتفاضة في قطاع غزة وتجنب درجة العنف والتوتر .

٢- إنعاش الزعامة العلمانية التي ستكون طرفا في المفاوضات .

لقد كان الشيخ أحمد ياسين في زنزانته شامخاً فوق القيد والسجن لا يرهبه بطش الطغاة ولا تلين لعزيمته قناة ، وقد حاول الإسرائيليون الإيقاع بينه وبين أبناء وطنه حين أكثروا من لقياه واستدعائه إلى مبنى الحاكمية العسكرية ، ولكنه لم ينخدع بظلال الكاميرات التي تملأ المكان ، ولا بحشود الصحفيين الإسرائيليين التي كانت تبحث من خلال أسئلة ماكرة عن ثغرة تلغي مكانته بين الناس .

لقد حار في فهم الشيخ أحمد ياسين (إسحاق مردخاي ، ورابين ، وشارون) فاعتقلوه ومعه مجموعة من الفلسطينيين لأنهم عرفوا أن الإسلام هو عدوهم الأول فأرادوا تحييده أو إشغاله بمشكلات جانبية ،

وتلاميذه في الداخل والخارج يصرون على هوية الصراع ، فالتكبير هو النداء المستمر و ومن يرى الشيخ أحمد ياسين لا يصدق بأنه هو هذا الجسد المغطى بالدماء على أرضية بيت متواضع لا يتحرك فيه إلا عيناه ولسانه وشفتاه التي تملك كل هذه القوة والسحر .

الحاكم العسكري لقطاع غزة :

لقد أغضب الحاكم العسكري لقطاع غزة أنه – أي الشيخ أحمد ياسين - قريب من الناس ، ووحد الفصائل ، ونسق بين الاتجاهات ، وطهر بؤر الفساد ، وقوم سلوكيات المنحرفين ، وأصلح بين المتنازعين ، وقال له : (إيش ... إنت عامل لي حكومة وفاتح بيتك محكمة ، اعلم أني أحذرك بأننا نحن هنا الحكومة وأننا ...) فقال له الشيخ أحمد ياسين : (إن الأرواح بيد الله ، والأرزاق مكتوبة عند الله تعالى ، فعلام الخوف والفرار ؟) وكان لذلك أثره في الانتفاضة ، واستشعر العاملون في وظائف العدو الحكومية بالذنب ، فاستقال رجال الشرطة وأضرب المحامون وأغلقت المحاكم أبوابها ، وانطلقت الجماهير في مظاهرات عارمة بعثت الأمال في إمكانات العودة بعد أن طال الاحتلال وأصبح بيته مقصد الجميع ، وأصبح الإسلام هو التيار الجارف الذي يقف في وجه كيان خائف ،وأصبحت حركة المقاومة الإسلامية دفقة دم ينبض في عرق كل مسلم ، وأصبحت حماس رأس الحركة الإسلامية في العالم كله .

كان الشيخ أحمد ياسين يؤمن بأن القضية الفلسطينية هي قضية الإسلام الأولى ، وكان حريصاً على وحدة الصف الإسلامي ، وعدم إيذاء المخالفين لرأيه ، وكان ذلك واضحاً في مقابلاته المتعددة مع التلفاز الإسرائيلي والصحافة العالمية ، وكان من وصيته لطالب جامعي في مصر سأله إن كان يريد شيئاً من مصر : (نريد عملاً

جاداً للإسلام وحركة دائبة لتغيير هذا الوضع المؤسف للأمة الإسلامية) و يقول أحمد يوسف أحد تلاميذه : (إن شعاع الإيمان وروح الإسلام تسري في شرايين هذا الرجل فتحييه بالإيمان وتسعده بالإيمان والعزيمة والثقة بالمستقبل وأن النصر لهذا الدين وإن أرجف المرجفون واختلط الحق بالباطل حتى عميت أنظار العامة) .

قال له الحاكم العسكري الإسرائيلي : (اسمع يا شيخ أحمد نريد منك ورقة صغيرة فقط تأمر فيها الشعب بوقف الانتفاضة ، فرفض، فتوعدوه وهددوه وحاكموه محاكمة سرية و واتهموه بمحاولة هدم دولة إسرائيل ليقيم على أنقاضها دولة إسلامية ، ولكنه رفض ذلك بإباء وشمم وقال : (إن النصر مع الصبر آت؛ ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾)، فأدخلوه السجن وأصبح هذا الشيخ الجليل المقعد مشهوراً تكتب عنه الصحف والمجلات الغربية، وتتحرك من أجله المؤسسات والهيئات الإنسانية والأقلام الإسلامية .

لقد أحبه الناس لتجرده وإخلاصه لدعوته وخدماته الكثيرة لجميع الناس و لقد ربى جيلاً وعمت دعوته جميع أرجاء غزة، وطاف بسجون نعمة وعسقلان والرملة وبئر سبع ، لقد شجب الشيخ ياسين الخط العلماني الذي تنتهجه منظمة التحرير الفلسطينية ،لأنه رأى أن آمال الفلسطينيين لا يمكن أن تتحقق إلا عند إقامة الدولة الفلسطينية ، ودعا منظمة التحرير إلى تبني الخط الإسلامي لحل القضية الفلسطينية واستمرارية النضال والكفاح ، فذلك هو الطريق الذي يمكن أن يحقق للشعب ما يصبو إليه من آمال وأهداف ، فالإسلام ومواصلة الطريق والصبر هي النقاط التي أرسلها عن طريق التلفاز الذي جاء يقابله في ذلك اليوم .

وقد نقلت إذاعة إسرائيل منظر المتهم الأول وقائد الخلية — كما يسمونه — الشيخ أحمد ياسين الذي يعاني من شلل كامل يحمل جسمه كله - فيما عدا الرأس - عاجزاً عن الحركة لدرجة أنه لم يستطع أن يرفع يمينه ليقسم على المصحف الشريف أن يقول الحق ، حتى ساعده أحد رجال الشرطة ورفع له يده .

وقد وجه له القاضي تهمة التخطيط لقلب نظام الحكم ، فردَّ عليه باستخفاف وثبات : (أحمد ياسين العاجز عن الحركة المشلول يخطط لقلب نظام الحكم و كيف هذا ؟ بأي يد سأرمي قنبلة أو أشعل فتيلاً ؟).

والتهمة التي وجهت إليه ولتلاميذه :(إقامة تنظيم إسلامي يهدف إلى الجهاد ضد إسرائيل ، وإقامة دولة إسلامية مكانها ، والتآمر ، وارتكاب الجريمة ، وحيازة أسلحة ...) وبعد صدور الحكم ردد المتهمون بصوت عالٍ : (الله أكبر ... الله أكبر) مما أذهل الحكام والسجانين الذين اقتادوهم إلى السجن .

وقال الشيخ أحمد ياسين : لقد كان الإسرائيليون - تحت حكم فرعون - لا حول لهم ولا قوة ولكنهم مع ذلك كانوا قادرين على مغادرة أرض مصر بدون طائرات ، وتم ذلك لهم بمساعدة الرب ، ونحن المسلمين أيضاً نؤمن بالله ونعتقد بأنه سيمنحنا القوة للتخلص من الاحتلال ، إنَّ الزمن يعمل لصالح المؤمنين أولئك الذين يعيشون لله ويتبعون منهجه ، وإذا أراد الله تعالى أن يكون الإسلام هو الحل فعندئذ سوف تتحقق إرادة الله ، إن الإيمان بالله وبرسالة الإسلام يعني أن تطلب الشهادة ولا تخشى الموت ، إنَّ الإسلام يدعو إلى الوحدة ونحن بتبنينا للإسلام لا نرفض أي وحدة ولكن على أساس سليم وأساس صحيح وأساس متكافئ .

وقد ردَّ على حديث صحفي هاتفي قائلاً : أنا أحب أن أقول أنَّ

المسلم إذا جاءه فاسق بنبأ فعليه أن يتبين حقيقة الخبر حتى لا يصيب قوماً بجهالة فيصبح على ما فعل نادماً ، لا بد أن أستمع إلى الطرفين وأن أتحرى الحقيقة لأننا في عالم يشوه الحقيقة ويغير الجواب ويقطع جزءاً منه على أساس تشويه الشخصية المقابلة ، وأنا أستطيع أن أقول لكل فرد مسلم : إنْ عليه أن يتنبه فلا يأخذ الخبر من أفواه الأعداء خبراً مسلماً به ، بل عليه أن يمحص وينظر ويسأل حتى يصل إلى الحقيقة و نحن في عالم كله دس ، فالحرب إعلامية وخطيرة وضخمة ولا بد من أن نتأكد من كل ما نسمع ونقرأ وكل ما نرى .

ولقد حاول الإعلام الإسرائيلي استدراج الشيخ أكثر من مرة للإيقاع بين أبناء الحركة الإسلامية ومنظمة التحرير الفلسطينية ، وكان نموذجاً لإظهار الموقف الإسلامي الرافض لتوجيهات الاستسلام والتعايش مع اليهود المحتلين دون التعرض للآخرين بالاتهام المعهود في مثل هذه المواقف .

إنّ رسالته تتلخص في أن المطلوب دولة واحدة ذات أغلبية مسلمة في جميع أنحاء الأرض التي بها إسرائيل وتشمل الأردن .

وقد شبه الانتفاضة بموج البحر فهي تثور حيناً وتهدأ حيناً ولكنها مستمرة ، وقال : (أنتم أيها اليهود أقوياء اليوم ولكنكم ستضعفون في المستقبل كما أثبت التاريخ مثلكم مثل البريطانيين والرومان وغيرهم، حتى يمكن إقامة دولة إسلامية على التراب الفلسطيني يعيش فيها اليهود والمسيحيون والعرب تحت قيادة المسلمين ، ولذلك فقد خرجت المظاهرات من المساجد ، وكان المتظاهرون يهتفون " الله أكبر ... العزة للإسلام ") .

ووجه الشيخ أحمد ياسين رسالته إلى المسلمين قائلاً : رسالتي إلى كل ناطق بالشهادتين .. فنحن دعاة إلى الله ، وطريق الدعاة مملوء

بالأشواك محفوف بالمخاطر ، ولكننا نؤمن بأن المستقبل في كل العالم للإسلام .. كما أذكرهم بأن ديننا ليس ديناً نظرياً ولكنه إيمان وعمل ، وعلى ذلك فإن لهم أخوة يعيشون تحت وطأة الاحتلال وأوضاعهم الاقتصادية صعبة والاجتماعية أصعب ، فهم في حاجة إلى تضامن إخوانهم معهم ونصرتهم لهم .. وإن لم يكن هناك قدرة على الإنفاق فإننا نقول داعين :﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴾ (الحشر:١٠) .

إن هناك إجماعاً عالمياً على الاعتراف بالكيان الصهيوني ، والغرب يمد إسرائيل بالدعم الهائل والذي يجعله متفوقاً على كافة النواحي العسكرية والتقنية واستطاع اليهود إقصاء الإسلام من حياة الناس اليومية ، بل ومن سلوك ومشاعر الأجيال الجديدة ، ولم يبق للإسلام من أثر إلا في بعض الشعائر التي يؤديها كبار السن ، وإلى جانب ذلك فإن كثيراً من قيادات الفلسطينيين والعرب قد عملوا على إقصاء الإسلام ، ولكن الله سبحانه وتعالى قيض لهذه القضية جيلاً نشأ تحت الاحتلال وتربى في المسجد ، اتخذ من القرآن دستوراً ومن النبي ﷺ منهجاً ، ومن سير الصحابة قبسات في الجهاد يحياها .

وبدأت الانتفاضة في ٢٨ /١٢ /١٩٧٨م بقيادة حركة المقاومة الإسلامية حماس بروح جديدة سرت في أبناء فلسطين [1] .

(١) أحمد ياسين للأستاذ (أ)حمد بن يوسف ، دار الفرقان - عمان ، الطبعة الأولى ص ١٠٥ .

معركة حركة الشجاعية [١]

شهد سجن غزة المركزي في ١٧/٥/١٩٨٧م عملية تحرير ذاتي لستة من الشباب المسلم كانوا معتقلين فيه ، وفي ٦ من أكتوبر من العام نفسه حدثت مطاردات من سلطات الاحتلال وسيارة تقل أربعة من جنود الاحتلال ، منهم مسلحين حتى خاضوا معركة ضارية على مدخل حي الشجاعية في غزة .. واستمرت المعركة حتى سقط أربعة شهداء ، وسقط أكثر من خمسة جنود من قوات العدو بين قتيل وجريح ، وكانت الهتافات التي تدوي :

" لا إله إلا الله والله أكبر ولا نقبل إلا برحيل المحتلين "

" خيبر خيبر يا يهود جيش محمد سوف يعود "

" الانتفاضة مستمرة حتى ينطق الحجر والشجر "

" اسمع يا جيش يهود جيش محمد سوف يعود "

وقد أعلن جورج شولتز وزير الخارجية الأمريكي أن جميع الزعماء الذين قابلهم في المنطقة أكدوا على أن الانتفاضة خطر على الجميع، كما صرح أحد زعماء العرب هذه الانتفاضة قد أثبتت فشل الزعامة العربية على طوال أربعين عاماً .

ومن النتائج التي أثرت على اقتصاد العدو أنها أحدثت انقساماً في صفوف العدو حتى أن بعض العسكريين دعا إلى الانسحاب من أجزاء من الضفة وغزة هروباً من مواجهة كارثة قد تحل باسرائيل .

وقد كشف إسحاق رابين وزير الدفاع الصهيوني النقاب عن استياء معظم الجنود من الخدمة في الضفة والقطاع ، حيث شكوا من صعوبة إحباط المظاهرات وملاحقة الصبيان لمسافات بعيدة .

---

(٢) الانتفاضة المباركة ومستقبلها للأستاذ جهاد محمد جهاد . مكتبة الفلاح - الكويت، الطبعة الأولى ص٤٩ .

وقد أنشئ تنظيم يهودي في القدس أطلق على نفسه (العام /٢١) يطالب بالانسحاب من الضفة والقطاع ويدعو إلى مقاطعة المستوطنات اليهودية ويعلن أن الاحتلال ترك بصمة سيئة على كل شيء في فلسطين .

جامعة يوسف بتركيا

الشيخ سعيد النورسي هو القمر الذي أضاء سماء تركيا في فترة من أخطر الفترات التي مرت بها .

لقد نشأ الشيخ سعيد نشأة دينية ، وفي يوم من الأيام قرأ في الصحف المحلية خبراً مدهشاً هز كيانه كله هزاً عنيفاً ، وهو أن وزير المستعمرات البريطاني " غلادستون " قال في مجلس العموم البريطاني وهو يخاطب النواب وبيده نسخة من القرآن الكريم : (ما دام هذا القرآن بيد المسلمين فلن نستطيع أن نحكمهم .. لذلك فلا مناص لنا من أن نزيله من الوجود أو نقطع صلة المسلمين به) .

لذلك صمم الشيخ سعيد على أن يكرس حياته كلها لربط المسلمين بكتاب الله تعالى وقال : (لأبرهنن للعالم أن هذا القرآن شمس معنوية لا يخبو سناها ولا يمكن إطفاؤها) .

وقرر إنشاء جامعة إسلامية في شرق الأناضول باسم مدرسة الزهراء لتحقيق هذه الفكرة ، ثم قابل السلطان عبد الحميد وانتقد الاستبداد ونظام الأمن والاستخبارات مما أثار نقمة حاشية السلطان التي لا تمثل فكرة السلطان فأحالوه إلى محكمة عسكرية واتهموه بالجنون ، ولكن المحكمة برأته ، وعرض عليه وزير الداخلية مرتباً ضخماً ولكنه رفض

قائلاً :(إني لم آت لغرض شخصي وإنما لمصلحة البلد ، فما تعرضونه عليّ ليس سوى رشوة السكوت .. إني أريد أن أوقظ هذه الأمة) .

وأحس الشعب التركي ببعد جمعية الاتحاد والترقي عن الدين وعلاقة أفرادها بالماسونية واليهود ، وقد أشاعوا جواً من الإرهاب واغتالوا بعض الشخصيات الإسلامية ، وانتشرت الشائعات ، ونشأ عصيان بين رجال الجيش وسار بعضهم في مظاهرة وهم يهتفون " نريد الشريعة .. نريد الشريعة " .

وانتهى الأمر بوصول جيش الحركة الذي وجهه الاتحاديون لقمع السلطان وعزله والسيطرة على الوضع ، وشكلت محكمة عسكرية لمحاكمة المسئولين عن هذه الحادثة [1] .

وكانت المحكمة برئاسة خورشد باشا الماسوني ، وقد أصدر أول حكم بدون تحقيقات تذكر وبدون تهم توجه إليه ، وكان الحكم بإعدام خمسين من المجاهدين الصابرين شنقاً .

وجيء بالمجاهد الشيخ سعيد النورسي ليشاهد هذه الأجساد الطاهرة، وقد ظن خورشيد باشا أن هذا يدخل في قلبه الروع أو يلين من عزيمته ، وقال خورشيد باشا للشيخ :(وهل أنت أيضاً من الذين يدعون إلى تطبيق الشريعة الإسلامية أيها الشيخ) ، فأجاب في هدوء : (نعم إنني أدعو إلى تطبيق الشريعة وسأجاهد من أجلها طوال حياتي)، ثم قال :(اسمع يا خورشيد باشا إنني لا أخشى حكمكم بإعدامي فقد هيأت نفسي بشوقٍ عظيم للذهاب إلى الآخرة لألحق بإخواني الذين سبقوني إلى أعواد المشانق لينالوا الشهادة في سبيل الله) ، وقدم للمحكمة ليُحكم عليه بالإعدام ولكن الحكم صدر ببراءته .

(١) بديع الزمان النورسي، للأستاذ إحسان قاسم الصالحي ، مطابع الوفاء - المنصورة ، الطبعة الثالثة ص١٤٨ .

وفي الحرب العالمية الأولى كان الشيخ سعيد يقابل هو وطلابه الجيش الروسي ، وفي أثناء المعركة جرح جرحاً شديداً وأسره الروس وقدم للمحاكمة بتهمة إهانة القيصر والجيش الروسي ، وأصدرت المحكمة قرارها بالإعدام ، ومكث في الأسر عامين ونصف لأنه رفض الاعتذار للقائد الروسي ، وقال له :(إنني أرغب في الرحيل إلى الآخرة والمثول بين يدي رسول الله ﷺ وأنا في حاجة – فقط - إلى جواز سفر إلى الآخرة ولا أستطيع أن أخالف إيماني) .

واستطاع الشيخ سعيد الهروب إثر حدوث الثورة البلشفية إلى ألمانيا ثم إلى استامبول ، وقد تولى السلطة في تركيا مصطفى كمال ، ورفض الشيخ سعيد التعاون معه فكان جزاؤه الاعتقال .

وفي السجون أخذ يعلم تلاميذه ويقول لهم :(إنّ الوقت الآن هو وقت إنقاذ الإيمان) وفي السجن أخذ يملي رسائل النور على بعض تلاميذه ثم يصححها بنفسه ، وكان يصر على كتابتها باللغة العربية ، ولم يكن هناك وسيلة إلا الكتابة باليد لأن المطابع التي كانت تطبع العربية قد أغلقت .

وقد أسهمت النساء في كتابة رسائل النور ونشرها عن طريق الاستنساخ لمن تعرف الكتابة ، ومن لا تعرف الكتابة كانت تقلد الكتابة تقليداً ،أو كن يقمن بالأعمال اليومية لزميلاتهن كي يتفرغن لكتابة رسائل النور ، وقد بلغ ما نسخ منها باليد ستين ألف نسخة .

وفي عام ١٣٥٣هـ / ١٩٣٤م وجهت إليه وإلى تلاميذه عدة تهم منها :

١- تأليف جمعية سرية .

٢- العمل على هدم الثورة الكمالية .

٣- تشكيل طريقة صوفية .

٤- إثارة روح التدين بنشر رسالة " الحجاب للنساء " .

وقد وضع في سجن إنفرادي وضايقوه كثيراً بهدف التأثير في

روحه المعنوية ولكنه كان مستمراً في تأليف رسائل النور ، كما أن عدداً كبيراً من المجرمين في هذا السجن تابوا إلى الله على يديه ، وبدءوا في إتباع الطريق المستقيم ، واستمر في السجن سبع سنين ، واستمر في مراسلة طلابه بشتى الوسائل متخطياً العيون المترصدة لحركاته .

تحول عن الإسلام :

بدأ الكماليون أساليب جديدة في حرب الإسلام، فقد حذفوا كلمات: (الخالق - الرب - الله) من الكتب المدرسية ، ووضعوا مكانها: (الطبيعة - التطور - الوطنية - القومية) وأصبح من علامات الثقافة والتقدم إنكار وجود الله تعالى وحاولوا أن يخلعوا ثيابه الشرقية التي حرمها أتاتورك ، ولكنه أبى إباءً شديداً ، وقال :(إنَّ هذه العمامة لا ترفع إلا مع هذا الرأس مشيراً إلى عنقه) .

فدسوا له السم ولكن الله تعلى نجاه، ثم أفرجوا عنه واعتقل مع مائة وعشرين من طلاب رسائل النور بتهمة تأليف جمعية سرية وتحريض الشعب على الحكومة العلمانية، ومحاولة قلب نظام الحكم، وتسمية كمال أتاتورك بالدجال هادم الدين .

وقامت الحكومة بتأليف لجنة تدقيق رسائل النور لتبين ما إذا كانت تحتوي على موضوعات سياسية أو أية تهمة ، وجاء في تقرير اللجنة : (إنَّ موضوعات كتبه تدور كلها حول المسائل العلمية والإيمانية وهي تفسير للقرآن الكريم) وقد برأته المحكمة ولكنهم استمروا في اعتقاله.

وفي السجن اهتدى على يديه عدد كبير من المجرمين والقتلة، وفي السجن أيضاً استمر في تأليف رسائل النور فألف الشعاع الخامس عشر وهو يتناول الأدلة القاطعة على وجود الله تعالى ووحدانيته وعلى صدق نبوة محمد ﷺ .

ثم أُفرج عنه ثم عادوا فاعتقلوه مرة أخرى ، وقدموه للمحاكمة بتهمة مخالفته للمادة ١٦٢ في الدستور التركي ، وهي المادة التي تحظر أي نشاط يستهدف إقامة الدولة على أسس دينية في عام ١٣٧٢هـ / ١٩٥٢م .

وقد وجهوا إليه تهمة أنه يحاول رسم طريق معين للشباب بواسطة هذه الأفكار، وأنه يدعو النساء إلى الاحتشام وعدم السير والتجول بملابس تكشف عن أجسادهن لأن ذلك يصادم الفطرة ويخالف الإسلام والآداب القرآنية .

وقال في حديثه للمحكمة :(إن قيام الشباب بطبع رسالة الشباب يجب أن يكون مبعث السرور والارتياح ، لأن هذه الرسالة تحاول إنقاذ الشباب والشابات من التيارات العديدة التي تعمل على هدم بنية المجتمع ونخر جسمه) .

وشكلت محكمة " أفيون " لجنة لتدقيق رسائل النور وإبداء الرأي فيها ، وأصدرت قرارها في عام ١٣٧٦هـ / ١٩٦٥م بأن هذه الرسائل تخلو من أي عنصر مخالف للقانون .

وبدأت الرسائل تأخذ طريقها في النشر عن طريق المطابع ، وكان الشيخ سعيد فرحاً وقال : (هذا عيد رسائل النور .. لقد انتظرت مثل هذا اليوم .. لقد أنهيت مهمتي ، إذاً سوف أرحل قريباً) .

وفي عام ١٣٧٨هـ / ١٩٥٨م اعتقل جميع من كانوا في خدمته من طلاب النور والذين يعملون على نشر رسائل النور ، وطلبوا من محاميهم أن يسعى للدفاع عن الدعوة دون الاهتمام بقضية إطلاق سراحهم ، وهم راضون بالبقاء في السجن سنوات عديدة .

وفي أيامه الأخيرة سافر إلى جميع المدن التي كان يقيم فيها وكأنه كان يريد أن يودع طلابه ومحبيه ، وقد أثارت هذه الزيارات المتلاحقة رعب الأوساط المعادية للإسلام فشنوا حملة عنيفة على

الشيخ سعيد لإثارة الرأي العام ضده مختلقين سلسلة من الأكاذيب والافتراءات ، وكأن هناك فتنة دامية ستحل بالبلد ، فأمرته الحكومة بالبقاء في "أميداغ" عام ١٣٧٩هـ / ١٩٦٠م .

وبعد فترة وجيزة استدعى طلابه حيث ودعهم واحداً واحداً قائلاً لهم وعيناه تفيض من الدمع : (استودعكم الله ... إني راحل) .

ولقي ربه في يوم الأربعاء الخامس والعشرين من رمضان سنة ١٣٧٩هـ / ٢٣ من مارس سنة ١٩٦٠م ، ووري في التراب في مقبرة " آولو جامع " ، وبعد أربعة أيام من وفاته وقع انقلاب عسكري أطاح بالحزب الديموقراطي ، وانتقاماً من الشيخ سعيد النورسي قاموا إلى نقل رفاته لجهة غير معلومة بحجة أن زوارا عديدين يأتون لزيارة قبره.

وقد وضع الشيخ سعيد طريقة سهلة لقراءة رسائل النور وما يصلح لكل فرد من الرسائل حسبما يحتاج إليه ويرغب فيه ، كما بين نهج رسائل النور في مخاطبة الناس .

وكان الشيخ سعيد يحب العرب ويرى أنهم أصحاب الفضل في حملة رسالة الإسلام ، وقد دعاهم إلى أن يعيدوا دورهم في حمل رسالة الإسلام حتى ينقذوا أنفسهم مما هم فيه من ذل وتيه ، ولذلك فقد كان يرغب في أن تترجم إلى العربية ، لتقوم بدورها في إعادة المفاهيم الإسلامية إلى قلوب العرب ، وتحملهم على أداء وظيفتهم ، وقد اختار أخاه الملا عبد المجيد لذلك العمل فقام بترجمة هذه الرسائل ، وقد طبعت كل رسائله باللغة الغربية وترجمت إلى الكثير من لغات العالم .

طابع العصر الحاضر :

ويرى الشيخ سعيد النورسي أن عصرنا يتميز بطابعين عجيبين :

الأول: التعامي عن رؤية العاقبة، وترجيح درهم اللذة الماثلة على قنطار من اللذة الآتية بسبب طغيان المحسوسات على عقل الإنسان وفكره.

الثاني : الضلال المترتب على الإلحاد والعلوم الطبيعية والتمرد المتولد عن الفكر العنادي في الماضي .

الأمراض القاتلة :

وقال الشيخ سعيد النورسي أنّ هناك ستة أمراض قاتلة جعلتنا نقف علي أبواب القرون الوسطى ونتيه في مشكلاتها المظلمة في الوقت الذي سار فيه الأجانب بخطى واسعة سريعة نحو المستقبل وهذه الأمراض هي :

١- اليأس والقنوط الذي ما زال يجد أسباب الحياة في نفوسنا .

٢- موت الصدق في حياتنا الاجتماعية والسياسية .

٣- حب العداوة .

٤- تجاهل الرابطة الروحية التي تربط المؤمنين بعضهم ببعض .

٥- ذيوع الاستبداد والأمراض المعنوية المختلفة .

٦- حصر الهمة في المتعة الشخصية دون الالتفات إلى النفع العام.

وقال إن العلاج يؤخذ من صيدلية القرآن الكريم على النحو التالي الثقة في الرحمة الإلهية والاعتماد على أن السر في قوة المسلمين ورقيهم وتقدمهم يكمن في تمسكهم بدينهم ، ولو أننا طبقنا الإسلام وأظهرنا كمالات أخلاقه وحقائقه الإيمانية في أقوالنا وأفعالنا لدخل أتباع الأديان الأخرى في الإسلام جماعات وأفواجاً ، بل وربما اعتنق الإسلام دول قارات العالم بأسرها ، وهناك خمس قوى قد اجتمعت للمسلم ولا يمكن أن تقهر وهي :

الأولى : الحقيقة الإسلامية التي تجعل المسلمين جميعاً نفساً واحدة وهي مجهزة بالتمدن الحقيقي والعلوم والفنون الصحيحة .

الثانية : الحاجة الملحة للتمدن والصناعات حتى تخلص من الفقر الذي قصم ظهورنا .

الثالثة : الحرية الشرعية المعلمة للبشرية طرق التسابق نحو المعاني الممزقة للاستبداد والظلم .

الرابعة : الشهامة الإيمانية المقترنة بالشفقة ، وذلك يستلزم عدم المداهنة أمام المستبدين وعدم التحكم في المساكين أو التكبر عليهم .

الخامسة : عزة الإسلام بإعلاء كلمة الله تعالى وذلك يستلزم التقدم المادي .

وحضارة أوربا لم تتأسس على الفضيلة والهدى ، ولذلك تغلبت فيها سيئات الحضارة على حسناتها .

الــشــورى :

ويقول الشيخ سعيد النورسي :(إن مفتاح سعادة المجتمع الإسلامي والمسلمين بوجهٍ عام " الشورى " وقد أمرنا القرآن الكريم باتخاذ الشورى في جميع أمورنا ، وأن الحرية الشرعية النابعة عن الإيمان تأمر بأساسين :

الأول : أن لا يذل ولا يتذلل ، ومنْ كان عبداً لله فلا يكون عبداً للعباد.

الثاني : أن لا يُجعل بعضكم لبعض أرباباً من دون الله .

وهكذا نرى أن جامعة يوسف بتركيا أنتجت مجموعات من الشباب استطاعوا أن يبقوا على الإسلام في تركيا وأن ينشروه بين الأجيال المقبلة وأن ينتصروا على العلمانية شيئاً فشيئاً حتى وجدنا أشياء كثيرة يسمح لها بالوجود كالمساجد ، وتحفيظ القرآن ، وتعليم اللغة العربية ، والأذان بالعربية ، والحجاب للمرأة واللحية للرجل .

كما وجدنا الصوت الإسلامي في تركيا يظهر في مشكلات المسلمين في البوسنة والهرسك ، وفي أذربيجان .. وغير ذلك .

كما أن رسائل النور قد أحدثت آثاراً كبيرة في جميع البلاد التي ترجمت إليها .

ونرجو الله تعالى أن يتغمد الشيخ سعيد النورسي الذي لقب ببديع الزمان برحمته ، وأن يجعل كل ما فعله في ميزان حسناته ، وأن يوفق المسلمين إلى السير على منهاج الله تعالى حتى يفوزوا برضوان الله في الدنيا والآخرة ، وهذا ما يتمناه كل مسلم فاهم واع رشيد ، والله الهادي إلى سواء السبيل .

جامعة يوسف في الجزائر

استمر الاستعمار الفرنسي في الجزائر أكثر من مائة وثلاثين عاما، وكان هدفه تحويل الجزائر إلى قطعة من فرنسا تدين بالمسيحية وتتكلم الفرنسية ، ولذلك فإن هذه لم تكن عملية استعمارية، بل إنها حرب إبادة شاملة لشعبٍ بأسره .

وقد قام الاستعمار الفرنسي بتحطيم المساجد ، وتدمير البيئة الاقتصادية في الجزائر ، وإحراق الغابات والمزارع والحقول والبساتين، وتخريب القرى والمدن ، وردم العيون والآبار ، وإغلاق المدارس ، وبدأ الفرنسيون في تنصير البربر والعرب ومنع الصلاة جماعة ، وأغرقوا مناطق البربر للإيقاع بينهم وبين إخوانهم العرب ببعثات التبشير ونشر الخرافات حول أصول البربر وعاداتهم الاجتماعية .

وقاوم الشعب الجزائري هذه الأعمال ، وأنشأ الشيخ عبد الحميد بن باديس جمعية العلماء المسلمين في الجزائر سنة ١٩٣١م ورفضت الجمعية تأييد فرنسا في الحرب العالمية الثانية .

وفي الذكرى المئوية للاحتلال قال الفرنسيون :(إنَّ احتفالنا اليوم ليس احتفالاً بمرور مائة سنة على احتلال الجزائر ، ولكنه احتفال

بتشييع جنازة الإسلام فيها)[1] فأثار هذا حفائظ المسلمين وغيرتهم .

وتوفى الشيخ عبد الحميد بن باديس سنة ١٩٤٠م واستمرت الجمعية في أداء وظيفتها برئاسة الشيخ محمد الإبراهيمي ودخل الشيخ الإبراهيمي السجن مع تلاميذه .

وفي عام ١٩٤٥م قامت مظاهرات وتم قمعها بوحشية ، وتم إحراق أربعين ألف عربي وتدمير عدد كبير من القرى وإحراقها بالنفط ، وفتحت السجون أبوابها لستين ألفاً بعد أن قتل أربعون ألفا ، وقد أثبتت ثورة الجزائر التي قدمت مليون ونصف من الشهداء ثمناً للإسلام والحرية عدداً من الحقائق التاريخية منها :

- إنَّ الإسلام قوة غير قابلة للموت .

- استخدام الشعائر والشعارات الإسلامية في المعارك .

- أظهرت فرنسا الوجه الحقيقي للحضارة الغربية ، وهو وجه إلحادي عنصري .

وقد نقل عباس مدني عن والده المسجون في سجن البليّدة في ضواحي العاصمة الجزائرية قوله[2] : (إنَّ على الإسلاميين أن يكونوا يقظين بعد ما حققوه من نصر ولا ينبغي لهم – وهم في الحكم – أن يذيقوا الشعب أي ظلم ، فهم أكثر الناس تعرضاً للظلم ، وهم أكثر الناس الذين يعلمون مرارته ، وبالتالي لا ينبغي أن يتحولوا من مظلومين إلى ظالمين) .

والشيخ علي ملحاح مكث خمس سنوات في السجن بالجزائر من ١٩٨٣م إلى ١٩٨٧م[3] .

---

(١) الجزائر تعود لمحمد ص٧٧، د/محمد مورو ، المختار الإسلامي بالقاهرة ، الطبعة الأولى .

(٢) الجزائر والمؤامرة على الإسلام والديموقراطية للأستاذ أحمد السيوفي ص٩٧ .

(١) الجزائر والمؤامرة على الإسلام ، مرجع سابق ، ص٨٠ .

وفي السجن كانت الدروس والعبر التي خرجوا منها والتي تتلخص في :

١- النظم الحاكمة في البلاد العربية والإسلامية لن تتخلى عن السلطة التي تستأثر بها ترسب فيها طويلاً ، وإن كانت قد رفعت شعارات الديموقراطية (الكاذبة !!) التي أصبحت تتغنى بها ليل نهار .

٢- على الحركة الإسلامية الالتحام بالجماهير ومشاركتها في همومها ومشكلاتها الاقتصادية والاجتماعية .

٣- الخطاب السياسي الإسلامي يجب أن يكون متماسكاً ومتجاوباً مع القضايا التي يعاني الناس منها .

٤- الحذر من أن تتخذ لعبة الديموقراطية وسيلة للإيقاع بالحركة الإسلامية وإهدار إمكاناتها .

٥- التمسك بمبدأ الحوار مع جميع الأطراف وإلى مقارعة الحجة بالحجة .

٦- المحافظة على صيغة التنوع والتعدد في إطار الوحدة العامة التي تجمع كل من يعمل للإسلام .

٧- إدراك أن الكفر ملة واحدة ، فلا بد أن تعلو روابط الأخوة الإسلامية بين الجميع .

٨- ضعف القوى السياسية غير الإسلامية يفتح الطريق أمام الجيوش للتدخل في السياسية .

٩- أن من يحكم المسجد يكون مهيناً لحكم الدولة في مجتمع عقيدته الإسلام .

١٠- أنّ النصر مع الصبر ، والله غالب على أمره ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

جامعة يوسف في مصر

أنشا الإمام حسن البنا رحمه الله تعالى جماعة الإخوان المسلمين في الإسماعيلية ، وبدأ نشاطه في المساجد والمقاهي والأندية وكل أماكن التجمع ، ثم انتقل إلى القاهرة ، وبدأت الدعوة تنتشر في المدن والقرى ، وبدأت التربية في المساجد وفي الكتاتب وفي اللقاءات ، وبدأت الأنشطة المختلفة ، الرياضية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية والعسكرية التي كان هدفها حرب الإسرائيليين والإنجليز المحتلين .

وقامت الحرب العالمية الثانية وأحس الإنجليز خطورة الدعوة وبخاصة بعد أن دخل الإخوان المعركة ضد الإسرائيليين وأثبتوا قدرتهم الفائقة على حرب اليهود بصورة لم تتمكن الجيوش العربية منها .

وبدأت الخطط تُوضع للقضاء على الإخوان ، واشترك في هذه الخطط الإنجليز والمسئولون في مصر ، وصدر الأمر العسكري بحل الإخوان المسلمين ، واغتيل المرشد العام للجماعة ، وفتحت السجون والمعتقلات للإخوان ، وصودرت الصحف واستولت الحكومة على كل الأنشطة التي أنشأها الإخوان في المجالات المختلفة .

ثم قامت الثورة وخرج المعتقلون ، ولكن المعتقلات ما لبثت أن افتتحت والمحاكم العسكرية بدأت في المحاكمات ، وكان التعذيب الذي لقيه الإخوان يمثل صوراً لا تخطر على بال ، وساعدت على ذلك كل الدول الغربية التي تخاف من الإسلام ومن الداعين إليه.

وفي داخل السجون والمعتقلات بدأت (جامعة يوسف) تأخذ دورها الكامل في تربية الإخوان التربية القائمة على الكتاب والسنة .

هل معك مصحف ؟ [1]:

سأل الأستاذ جابر رزق الأستاذ محمد فريد عبد الخالق : هل معك مصحف ؟ ، قال : نعم ، قال : اعطني نصفه ، فأعطاه صورة الفاتحة حتى آية ﴿ ۞ وَلَوْ أَرَادُواْ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴾ (سورة التوبة ٤٦) .

يقول : وكنت أقرأ من هذه الأجزاء بعد أن أفرغ من الدورة باقي اليوم ، وأحسست أن القرآن كما وصفه ربنا رحمة ونوراً وهدى وحياة للقلب ، كان جليسي في وحدتي التي استمرت اثنى عشر يوماً ، وفي زنزانتي الأولى تلقيت درسين هامين :

الأول : هو أن باب الإيمان هو الطاعة لله تعالى ، وكلما ازدادت طاعة الله تعالى ازداد إيمانك ، وهذه الحقيقة كانت خافية عني خارج السجن ، لقد كنت أظن أن الإيمان هو الاقتناع العقلي ، ثم تبين لي أن الإيمان العقلي ما هو إلا جزء من الإيمان الكامل .

الثاني : الاستسلام لأمر الله تعالى والتوكل عليه والركون إليه والثقة فيه والأمان إلى جواره .

كل هذا تعلمته من عمي حسب النبي خير الدين عامل النسيج الأمي التائب الراضي المطمئن الواثق والمتوكل على الله ... وزميلي في السجن !! .

ضابط شرطة يتعلم :

في سجن الواحات الخارجة في أواخر الخمسينات أجرى مأمور السجن تفتيشاً لعنابر الإخوان ، وقد تعمد إثارة مشاعرهم بكل وسيلة ،

---

(1) الأستاذ/ جابر رزق ، مذابح الإخوان في سجون ناصر ، القاهرة : اللواء للطباعة والنشر ، الطبعة الأولى ص٩٠ وما بعدها .

فصادر ملابسهم الخاصة المصرح لهم بها وأحرقها ، وأتلف الأدوية التي وصلت إليها يده ، وقابل الإخوان المساجين ذلك بهدوء وصبر .

وفي نفس الليلة مرض ابن هذا الضابط واشتد عليه المرض ، وكان أقرب طبيب على بعد عشرين متراً وقد لا يجده بعد ذلك في مكانه في هذه الساعة المتأخرة من الليل ، وتنبه الضابط الوالد إلى وجود طبيب من الإخوان فحمل إليه ابنه وفتح العنبر ورجاه أن يسعف ابنه ، وتولى الطبيب المسجون علاج الولد وسهر بجانبه ، وتولى باقي الإخوان تهدئة روع الضابط حتى زالت العلة عن الطفل ورجع الضابط إلى بيته قرير العين ، وفي الصباح كان أول ما قام به هذا الضابط الشرس الاعتذار إلى الإخوان عن كل ما صدر منه ، بل إنه أيضاً طلب العفو منهم .

رجـولـة :

وفي هذا السجن كان هناك درس رائع في الرجولة من الأخ حسب النبي خير الدين عامل النسيج الأمي ، فهو لم يعترف تحت التعذيب بأي شيء يضر بغيره وقال بعد ذلك :(ليس برجل من يعترف على إنسان لم يعتقل بعد) ، وفي أثناء التعذيب كان يقول :(يا رب انتقم .. يا رب انتقم) فخرج الضابط محمد الجنزوري وسأله : ينتقم من مين يا ولد ؟ ، فقال : ينتقم منك يا كلب .

فهو لم ينهزم تحت نيران السياط ولم ينكسر قلبه من هول التعذيب فصار الجنود والضابط كلاباً مسعورة ، ولكن طرف أحد السياط جاء في عين أحد الزبانية فتوقف عن الضرب وأنزلوه من التعليقه .

الحكم في الإسلام [1]:

يقول الأستاذ جابر رزق : الأخ السيد الهواش حقق معه في السجن ، وفي التحقيق قال :(لقد اتضح لي في السجن أن مسأله الحكم في الإسلام مسألة عقدية بمعنى أن الإسلام معناه أن تكون الحاكمية لله ، وانه ليس هناك في موضوع الحكم إلا وجهان :

إما حكم إسلامي وهو كل حكم تكون فيه الحاكمية لله وحده .

وإما حكم جاهلي وهو كل حكم لا يكون الحكم فيه لله وحده .

والسبيل إلى إقامة المجتمع المسلم يكون بدعوة الناس وإفهامهم هذه الحقيقة ، وبذلك يكون الفرد قد أدى واجبه نحو الله تعالى فينال ثوابه وينجو من عقابه ولسنا مكلفون بالنتيجة بل بالدعوة وتكرارها ، والقدوة في ذلك هو الرسول ﷺ الذي استمر في مكة ثلاث عشرة سنة يدعو إلى الله على بصيرة وترك الأمر لله وحده وانتهى به الأمر للقتال في سبيل الله تعالى ، وأنا مسلم ومن وحي عقيدتي أرفض أن أحاكم أو أتحاكم إلى محكمة لا تحكم بما أمر به الله ، وهذه هي عقيدتي .

شموخ [2] :

في طابور التعذيب في السجن الحربي وقف حمزة البسيوني على حصانه الأحمر في عام ١٩٥٤م يسخر من الشيخ عبد الفتاح ويقول له : (كويس كده يا شيخ عبد الفتاح؟) ، فابتسم الشيخ عبد الفتاح وقال : (الحمد لله على كل ما يأتي به الله ، ونحن راضون بكل ما يأتي به الله).

وعندما نطق الدجوي رئيس المحكمة العسكرية بالحكم بالإعدام صاح الشيخ عبد الفتاح :(الله أكبر ... فزتِ ورب الكعبة)، وفي أثناء

---

(١) مذابح الإخوان ، مرجع سابق ، ص٢٢١ وما بعدها .

(١) مذابح الإخوان ، ص١٢٧ ، مرجع سابق .

تنفيذ الحكم تقدم شامخاً محتسباً يدعو الله تعالى أن يجعل دماءه لعنة على قاتليه .

والأخ محمد عواد يعطينا درساً في الشموخ في السجن الحربي ، حيث استمر تعذيبه يومين بحضور شمس بدران و وحمزة بسيوني ، ورياض إبراهيم ، كان صفوت الروبي يمسك رأس عواد ويخبطها في حائط الفسقية حتى هشمه ولم يحصلوا منه على كلمة واحدة ، وكان ينشد قبل إعدامه :

كتبنا النصر من دمنا	على أشلاء قتلانا
جعلنا من جـــماجمنـــا	لشرع الله بنيانـــا
بذلنا النفس في شـمـم	إلى الإسلام قربانا
عـراة مـن مـلابـسنـــا	لنار الحقد تغشانا

وفي أثناء تعذيبه نزل سرواله فخاف أن تنكشف عورته فأمسك بسرواله ورفعه حتى لا تنكشف عورته ، فانفجروا فيه قائلين :(حتى وأنت في هذه الحالة تتمسك بدينك؟!)

وأمسك به صفوت الروبي ونزل به مرة أخرى إلى الفسقية يضرب رأسه في جدارها حتى سالت الماء بغزارة ووقع مغشياً عليه فألقوا به على الأرض ، وقالوا عنه :(إنه سافر خلاص) يعني أنه فارق الحياة وكان ذلك في ٢٠ من أغسطس سنة ١٩٦٥م .

لقد كان هدف عبد الناصر من مذبحة الإخوان المسلمين عام ١٩٥٤م – بعد تلفيقة بنصيحة أمريكية لتمثيلية المنشية – القضاء على جماعة الإخوان ، وزرع الخوف في قلوب أبناء الشعب المصري ، ولكن العكس هو الذي حدث .

لقد امتلأت نفوس أبناء الجيل الجديد عزماً وتصميماً على الصبر والثبات والتضحية في سبيل بقاء الدعوة حيةً في نفوس المسلمين .

أهداف التنظيم :

وقد سأل صلاح نصر رئيس نيابة أمن الدولة الأستاذ سيد قطب عن أهداف التنظيم ، فأجاب :(تربية المجموعات الموجودة تربية إسلامية كاملة ، ثم تكوين جيل مسلم أو قاعدة واسعة يمكن أن يقوم عليها النظام الإسلامي باعتبار أن التربية الإسلامية الأخلاقية لابد وأن تسبق النظام .. وبناء على هذا الفهم بدأت معهم تدريس العقيدة وتاريخها .

صار من الإخوان :

الحاج عبد الحميد رضوان تاجر جلود بالحمزاوي لم يكن من الإخوان ، ولكنه اعتقل بسبب ابن أخته الذين كان أحد الطيارين الذين اعتقلهم عبد الناصر ، فأتوا به ليدل على ابن أخته ، وظل في المعتقل ونسي ، وعندما أفرج عنه كان من الإخوان ، لقد خرج وهو يحفظ نصف القرآن الكريم ، ويداوم على قراءة المأثورات ، وقراءة ورد القرآن اليومي .

السجن فرصة لإعادة تكوين الفكر :

لقد كان حمزة البسيوني يستعرض طابور المعتقلين وهو يتبختر على صهوة حصانه ، وكان الإخوان عندما يرونه يملؤهم الحماس فيتبخترون في مشيتهم ، ويرونه قوتهم ودقة نظامهم ولياقتهم ، وفي أثناء الساعة التي يقفها الإخوان داخل السجن لبدء حركة الطابور السريع خارج السجن كانوا يحفظون القرآن الكريم ، فالأخ الحافظ يحفّظ الأخ الذي لا يحفظ أو يراجع له ، وكذلك في أثناء طابور النظام .

ومحنة السجن الحربي لها وجهها المضيء الذي يتمثل في تجلية أجهزة الاستقبال فيها كبشر ، حتى أصبحوا يحسون بأن الله تعالى معهم ، واعتبروا السجن فرصة لإعادة تكوين الفكر .

وكما ربى موسى في بيت فرعون، فقد ربى الإخوان في سجون فرعون مصر الحديث جمال عبد الناصر ، فالذي لا يملك الحجة القوية التي يدحض بها حجة غيره فإنه يلجأ إلى أسلوب البطش واستعمال القوة، وقد استصغر الإخوان ما يدبره طواغيت الأرض جميعاً .

لقد حدد يوم ٥ يونيو سنة ١٩٦٧م لامتحان الإخوان وتقسيمهم إلى فئات ، ولكن هذا اليوم كان يوم هزيمة مصر على يد إسرائيل ، والذين عذبوا الإخوان وتفننوا في تعذيبهم أعتقلوا وسجنوا ومنهم علي صبري وحمزة البسيوني وصفوت الروبي ، نسأل الله أن ينتقم منهم !! .

في الزنزانة [1]:

ويتحدث المستشار علي جريشة عما كان يحدث في سجن طره فيقول :(شغلنا بحفظ القرآن الكريم حتى أحسسنا أن الوقت أضيق من أن يتسع للواجبات ، وراح كل منا يحدث الآخرين بما يعلم ، فعالم الذرة يتحدث عن الذرة ، وعالم الطبيعة يتحدث عن الطبيعة ، وعالم القانون يتحدث عن الشريعة ، وعن القانون ويقول :(سمعت واحداً من أبناء ١٩٥٤م ينشد شعراً لأبناء سنة ١٩٦٥م ، حفظت منه هذه الأبيات :

لواء الحق نرفع ما حيينا ... بفضل الله جنداً صادقينا

ونمضي والثبات لنا سلاح ... يقض مضاجع المتسلطينا

ويخلف من يظن لدى عماه ... بأن الظلم يحمي الظالمينا

وغنى بعض الإخوان :

ما أحلاها والله الزنزانة ... مزنوقة ولكن سايعانا

والقعدة فيها عجبانا ... وقلوبنا سعيدة وفرحانة

ما أحلاها والله الزنزانة

---

(١) في الزنزانة للمستشار علي جريشة ، الوفاء للطباعة والنشر ، المنصورة ، الطبعة الثانية ، ص٨٠ وما بعدها .

سراديب الشيطان[1] :

قال شيوعي للأخ أحمد رائف :(مصر فقدت استقلالها وكرامتها بالاستعمار الفرنسي ، وعندما جاء العرب وحكموا هذه البلاد أفسدوا كل شيء ، واضطهدوا النصارى ، وحولوهم عن دينهم بالقوة) ، فقال له الأخ أحمد رائف :(هذا فهم معكوس و يجب أن تعلم أن مصر قبل الفتح الإسلامي كانت مستعمرة رومانية ، وكان السادة البيزنطيون الذين يحكمون البلاد يدينون بمذهب نصراني مخالف لمذهب الكنيسة القبطية وهو المذهب الملكاني الذي يقول بالطبيعة الواحدة للمسيح ، ثم أنزلوا اضطهادهم بآباء الكنيسة حتى هربوا إلى الصحراء الغربية في أديرة لا يعلم مكانها أحد خوفاً من القتل والحرق ، وحين دخل المسلمون مصر أعطوا الأمان لكل الهاربين وترك لهم حرية الاعتقاد ، ولم يجبر نصراني واحد على تغيير دينه ، والدليل على ذلك - بالإضافة إلى ما كتبته كتب التاريخ - وجود المسيحيين معنا في السجن ، فلو كان المسلمون قد قضوا على المسيحيين بعد اضطهادهم لما رأيتهم معتقلين معنا اليوم ، ولما وجدت قبطياً واحداً في مصر .

تميز المؤمنين :

وفي السجن كان الأستاذ محمد قطب يدعو إلى أفكاره بوضوح وصراحة ويقول :(لا إله إلا الله محمد رسول الله لا يجب أن تلتبس على أحد) ويقول :(جماعة المؤمنين يجب أن تتميز عن المجتمع وتستعلي عليه بما أنعم الله عليها من الإيمان ، تعلن هذا وتدعو إليه ، والشهادة لا تكون إلا لمن أنعم الله عليه) ، كان يدعو إلى الثبات والمواجهة بكلمة الإسلام وشهادة أن لا إله إلا الله .

---

(٢) سراديب الشيطان ، مرجع سابق ، ص٤٨ .

وقال الأستاذ فريد عبد الخالق :(الجماعة لا تحل بقرار لأنها أمل المسلمين في القرن العشرين ، وعليها أن تواجه محنتها بشجاعة ، والطريق الوحيد هو الاهتمام بالتربية والثقافة والعلم فينشأ الجيل المسلم القادر على تحقيق الأهداف) .

لقد كانت الظروف والحوادث قد أفرزت قيادات طبعية لجماعة الإخوان المسلمين ، وقد تم ذلك في مدارس السجون التي مروا عليها وعاشوا فيها وهم الذين قضوا في السجن عشر سنوات ، ولم يؤيدوا الحكومة كانوا العمد الخرسانية للتشكيل الجيد حيث أجمعوا على أن يكونوا وقوداً للدعوة حتى يموتوا والمعتقلون الجدد انخرطوا في الأنماط الإسلامية ، وحفظوا المأثورات واندمجوا في جماعة الإخوان المسلمين ، وكانوا يقرءون " ورد الرابطة " عند المغيب .

التكفير[1] :

قال الشيخ حسن الهضيبي رحمه الله تعالى للشيخ علي إسماعيل الذي كان يدعو لتكفير الحكام :(وأين صبر المؤمنين الصادقين ؟ فلندع حساب هؤلاء على الله سبحانه وتعالى ، ولنصبر ولنحتسب ، ولنقم بدورنا وهو يتلخص في الدعوة إلى الإسلام ، وتفهيمه للناس ، وينبغي ألا نشتت جهودنا في الهدم والتفكير في البناء) .

يقول الشيخ علي إسماعيل :(لقد نزل كلام المرشد العام على قلبي برداً وسلاماً ، وهب ما في قلبي من غضب وضيق ، وعدت ثانياً فرداً في جماعة الإخوان المسلمين) .

(1) سراديب الشيطان ، مرجع سابق ص١٢٠ .

كيف يتحول الحقد إلى حب[1] :

قال شاب انضم إلى جماعة الإخوان في سن السادسة عشر واعتقل في عام ١٩٥٤م مدة شهر ثم أفرج عنه ، وتحول بعد ذلك إلى ناصري متعصب ، ثم اعتقل عام ١٩٦٥م ، لأن كل من ورد اسمه ولو مرة لا بد وأن يعتقل .

قال هذا الشاب للأستاذ جلال كشك :(استلفت نظري ظاهرة غريبة، فقد لاحظت أن المعتقلين الذين عذبوا على يد جلادين تعذيباً يفوق أي تصور يخطر بعقل سفاح أو وغد وبحقد حقيقي من جانب الجلادين ، وهي ظاهرة تحتاج إلى دراسة في علم كرامة الفرد ، المهم أنه حين بدأت عمليات التصفية وتبين أن بعض المعتقلين لا صلة لهم بالإخوان ولا حتى بالإسلام كدين ، فضلاً عن التشكيل السري لجمعية الإخوان المسلمين ، استلفت نظري أن المعتقلين المفرج عنهم كانوا يحرصون قبل مغادرتهم السجن وبدون أن يطالبهم أحد بذلك على معانقة جلاديهم الذين عذبوهم ، بحب حقيقي وامتنان ، ويشكرونهم دون أية ذرة من نفاق ، وكان لديهم من الوعي – كأنه لم يعذب - ما جعله يلاحظ أن هذا هو التعالي على الضعف البشري ، وكيف يتحول هذا الحقد إلى حب .. أن تفني في قاتل .. أن تعجز حتى أن تحقد !!) .

وكان كل ليلة يقسم أنه مهما حدث فلن يسقط في الهاوية ، وأحمد الله أن الظروف لم تمتحن قسمه إذ لم يعذب وإلا لخسرنا شاباً من أنبل الشباب .

صامد كالطود الشامخ[2] :

الأستاذ حسن الهضيبي إمام ممتحن ، وكان صامداً كالجبل

---

(٢) محمد جلال كشك ، النكسة والغزو الفكري ، القاهرة ، مكتبة عمار ، الطبعة الأولى ص١٣٣ وما بعدها .

(١) الأستاذ / جابر رزق ، حسن الهضيبي ، الإمام الممتحن ، الطبعة الأولى ص٣٧ .

الشامخ أمام كل الصعوبات والمشقات التي واجهته .

يقول الأستاذ محمد حامد أبو النصر :(التقيت بالأستاذ حسن الهضيبي في ليمان طرة بعد المحاكمات فكان مثالاً رائعاً للثبات وعدم الاكتراث بالأحداث ، وكان الإخوان يترسمون خطاه ويقتدون به في كلامه وفي توقفه عن طلب أي شيء من إدارة السجن) .

كان الجبل الأشم شامخاً عالي الرأس مرفوع الهامة مثالاً عالياً لجميع الإخوان ، كان بعض الإخوان يطلبون منه أن يقول كذا أو يطلب كذا ، ولكن كان يقول :(خلينا بعيدين ، نحن دخلنا السجن في سبيل الله ، وعلينا أن نصبر ونتحمل كل ما نقابله في سبيل الله) .

واللواء صلاح شادي قال :(الحقيقة أن الأستاذ الهضيبي كان قاضياً في كل ما يتناوله من أمور، عندما تعرض عليه مشكلة من المشاكل ينظر إليها بعين القاضي و وكانت العدالة صفة من صفاته البارزة ، كان عميق التذوق للحق وكان موقفه دائماً مع الحق مهما أوذي في سبيله ، وكان إدراكه للمسئولية إدراكاً عميقاً ، وحرصه على أداء الأمانة عميقاً جداً وكان شجاعاً في وقوفه إلى جانب الحق الذي يراه .

وقال الدكتور أحمد الملط [1] :(أذكر أنه عندما ساءت حالته الصحية في السجن نصحنا بنقله إلى المستشفى وإذا به يبكي — وهذه أول مرة يبكي فيها — ويقول :"إنني أرفض أن أنقل إلى المستشفى ، إني أريد أن أموت هنا بين الرجال ، لا أريد أن أموت بين أهلي بالبيت ") .

وبعد الحكم على الإخوان بالإعدام والسجن ، كانوا يعذبون الإخوان ويجبرونهم على أن يغنوا أغنية أم كلثوم

يا جمال يا مثال الوطنية ... أجمل أعيادنا الوطنية

بنجاتك يوم المنشية

---

(١) المرجع السابق ، ص٧٣ .

وكانوا يقولون للإخوان : (ردوا عليها) ومرَّ حمزة البسيوني ومعه جنوده وهو ممسك بيده الكرباج يلهب ظهور الإخوان حتى وصل الإمام الهضيبي :(عجبك يا هضيبي .. مبسوط من صوت الإخوان يا هضيبي .. النغمة منتظمة يا هضيبي) ، فنظر إليه الإمام الهضيبي بجنب عينه وقال له :(اذهب إلى عبد الناصر بتاعك وقل له إنَّ كل هؤلاء الإخوان أرواحهم في يد من خلقك وليست في يدك، وإنهم برءاء من دمك براءة الذئب من دم ابن يعقوب) ، وإذا بحمزة البسيوني ينسحب ومعه جنوده دون أن ينبس ببنت شفه ، وظل الإمام الهضيبي رحمه الله تعالى يحرك يديه ينظم النغمة وكأن شيئاً لم يحدث .

والشيخ حسن عليان يقول :(بعد الانتهاء من موضوع التكفير والفصل فيه بكتاب "دعاة لا قضاة " قامت قضية التظلمات من الاعتقال، فسالت الأستاذ الهضيبي في هذا الأمر فقال :(أنا شخصياً لن أرفع قضية تظلم ، لأن بيني وبين الله عهد الا اسأل مخلوقاً شيئاً ، وهذا ليس عناداً ولكنه عهد بيني وبين الله ، لن أطلب حاجة من غير الله ، يفرج عني يفرج عني ، يبقيني في السجن يبقيني ، إنما الباب مفتوحاً أمام الإخوان فمن أراد أن يتظلم فليتظلم ومن لم يرد فله ما يرى بشرط الا يبرأ أحد من دعوة الإخوان المسلمين لأن التبرؤ منها ردة ، ولا يوافق على ظلم المظلومين لأن هذا حكم شرعي) وكان يقول :(إذا تخلى الجميع ولم يبق سوى أخ واحد فسأكون معه) .

وتقول السيدة زينب الغزالي رحمها الله تعالى :(أذكر أن رسالة جاءت من سجن الواحات أرسلها الأستاذ عبد العزيز عطية إلى الإمام الهضيبي يستفتيه في أن عدداً من الإخوان يريدون أن يترخصوا ويؤيدوا جمال عبد الناصر بغية الخروج من السجن فردَّ عليه بقوله :(إنَّ

الدعوات لا تقوم على الرخص ، وعلى أصحاب الدعوات أن يأخذوا بالعزائم ، والرخص يأخذ بها صغار الرجال ، وأنا لا أقول بالأخذ بالرخص ولكن أقول خذوا بالعزائم فاثبتوا وتشبثوا بالعزائم) .

والأستاذ نبيه عبد ربه يحكي عن موقف رآه للإمام الهضيبي إذ قال له رئيس المحكمة " محكمة النقض والإبرام " :(يا حسن ألست معي في أن أكثر أحكام التشريع الحديث تقابل أحكاماً مماثله في الفقه الإسلامي ؟) قال له :(بلى) قال الرئيس :(فما سبب المطالبة الملحة من جانبك بالرجوع إلى الشريعة الإسلامية وتطبيق أحكامها) ، قال الإمام :(السبب هو أن الله تعالى قال : ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ "المائدة :٤٩" ولم يقل بمثل ما أنزل الله).

إنّ تحكيم شريعة الله في عقيدة المسلم عبادة تؤدي امتثالاً لأمر الله تعالى ، وذلك هو مصدر بركتها وسر قوتها في نفوس المؤمنين وفي كيان الجماعة المؤمنة بها .

ويقول الأستاذ محمد الصائم [1]:(بعد أن خرج الإمام الهضيبي من المعتقل قال للإخوان : لقد كانت فترة الاعتقال بمثابة اعتكاف إجباري، أو محطة في طريق السفر الطويل راجعت فيها كتاب الله تعالى حفظاً ودراسة وتدبراً وعرفت واختلطت بأناس آخرين ، ووجدت فرصة أخلو فيها إلى نفسي أستعرض أحداث الماضي وأفكر الحاضر بهدوء ورقة ، وأعتقد أننا لم نخسر شيئاً في أمر قدره الله لنا ، فإن ما يحدث لنا من عذاب واضطهاد أمر تعاهدنا عليه ، فلا غرابة فيه ولن يؤثر على ما عقدنا العزم عليه ولكنه -فقط - يعطينا المؤشرات ويحذرنا من المطبات

(١) الأستاذ / عبد الحليم خفاجي ، حوار مع الشيوعيين في اقبية السجون ، القاهرة : دار الأنصار ، الطبعة الثانية .

ويفتح أعيننا على ما هو آت ، فإن ما يحدث لنا لن يوقف حركة الدعوة ولن يرهب أبناءها الذين اعتقدوا أن أقل ما يطلب في سبيلها هو الدم والمال والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون) .

وفي السجن أتيح للشهيد سيد قطب فرصة الإطلاع والبحث والتأليف، حتى إنه كتب في السجن أخطر مؤلفاته "معالم في الطريق"، وكتب "في ظلال القرآن" ، وحتى الأجزاء العشرة الأولى التي كتبها خارج السجن أعاد كتابتها في داخل السجن .

كان الداعية سيد قطب يتصل بالإخوان – وهو داخل السجن – عن طريق الزوار ، حتى إنه استطاع تهريب كتابه معالم في الطريق عن طريق أخته حميدة ، كما كتب العديد من الوصايا داخل السجن ، وتم طبعها خارج السجن .

حوار مع الشيوعيين :

في فترة من فترات الطغيان في مصر التقى الإخوان المسلمون مع الشيوعيين في السجون ، قد تختلف المعاملة في مجالات كثيرة ولكن وجود الطائفتين في سجن واحد أتاح فرصة للمناقشة المنظمة الهادئة الهادفة إلى معرفة الحقيقة ، وقد سجل الأستاذ عبد الحليم خفاجي هذا الحوار في كتابه " حوار مع الشيوعيين في أقبية السجون "[1] .

يقول الأستاذ زين العابدين الركابي في مقدمة الكتاب :(من أهداف السجانين وهم يلقون بالأحرار في أقبية السجون ، قذف اليأس في قلوبهم ، وحملهم على إعلان التوبة ندماً وإقلاعاً وعزماً ، ندماً على العمل الذي عملوه ، وإقلاعاً عنه ، وعزماً على السير في الطريق الذي يريده السجان ، والعمل هنا هو الدعوة إلى الإسلام وتغيير الواقع باسمه

(١)الأستاذ / عبد الحليم خفاجي ، حوار مع الشيوعيين في اقبية السجون ، القاهرة : دار الأنصار ، الطبعة الثانية .

وعلى هداه ، وكانت الإيجابية والعمل للإسلام في داخل السجن إحباط هدف السجانين وإفشالاً للخطة النفسية في الحمل على إعلان التبرئة من طريق الإسلام).

يقول الأستاذ عبد الحليم خفاجي :(بعد أن نجحنا في وضع البداية الطبيعية للماركسية وهي المادية الجلدية ، وبعد أن أزلنا مخاوف الشيوعيين من أي رد فعل - مهما كان عرضهم لنظريتهم متصادماً مع عقيدتنا وإسلامنا - وبعد أن زكينا مبدأ الصراحة والتعاون المشترك في البحث عن الحقيقة ألقينا السمع إلى الزميل الذي اخترناه ليتولى العرض لما لمسناه من صراحته ، وتشجيعاً لبقية زملائه على اقتفاء أثره .

الجهد الجماعي :

وبذلك اختفت الفردية في الجماعية ، وبدأ الإنصات للشيوعيين في تقديرهم للظروف التي دفعتهم إلى فك ارتباطهم بأمتهم وعقيدتهم والالتصاق بأمم أخرى غريبة الوجه واللسان والمذهب والوجهة ، فإن لمح الإخواني جانباً في خير في أحد الشيوعيين ذكره وإن رأى خصائص الفطرة تتفجر في نفوس الشيوعيين في أثناء الحديث أشاد بها، وإذا رأى الحق في جزئية مما عندهم أقره عملاً بقوله تعالى :﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ [1] .

الندوة الفكرية :

وسط العمل الشاق والتعذيب المستمر عقدت الندوة الفكرية التي تضم ممثلين عن كل الاتجاهات الحزبية المتنافرة ، والهدف من ذلك كان إشاعة روح جديدة ، والبحث عن الحقيقة بكل موازينها العلمية دون الوقوع تحت تأثير أفكار مسبقة ، أو التردي في سلوك معيب ، وقد

(١)(المائدة :٨)

استمع الإخوان — دون ملل — فترة تزيد عن الشهرين إلى كل مستويات الشيوعيين الفكرية والتنظيمية ، وسلك الإخوان معهم مسلك الرسل الكرام مع أقوامهم ، ثم جاء دور الإخوان في الحوار .

وقد جعل الإخوان البداية سهلة غير مثيرة لا تتعدى الاستفسارات وتسجيل الملاحظات ، وقد طلبوا من الإخوان إعطاءهم فرصة العودة إلى المختص ، ثم كانت المفاجأة الكبرى فيما أعلنه ما يزيد على الأربعين منهم انفصالهم عن التنظيمات الشيوعية ، وعودتهم إلى الإسلام ، ومطالبتهم إدارة السجن بتخصيص سكن مستقل لهم ، وبدأ الإخوان يسمعون الأذان للصلاة ، وخطب الجمعة بعد أن استجابت الإدارة لطلبهم .

وكان نتيجة ذلك قرارهم بعدم أخذ ما نقدمه لهم من مساعدات اقتصادية ظنوها السبب المباشر لتحول هذه المجموعة، عملاً بتفسيرهم كل شيء من زاوية اقتصادية ، كما قصروا حضور الندوة على رؤوس منهم .

والدروس التي استفيدت من هذه الندوة تتلخص في :

١- قيمة وجود الحرية في نشر الإسلامية ، بينما غيرهم لا يستطيع الاستمرار إلا بالأساليب البوليسية وصور الخداع الحضارية .

٢- الإسلام لم يهزم أبداً في حوار مفتوح ولا في نقاش مملوء بالحرية الفكرية ، وكل مفكر إسلامي يود أن تقام ندوات عالمية يطرح فيها كل مذهب ودين فلسفته وتشريعه ، ويأخذ الحوار المفتوح مداه في النقاش بين ممثلي المذاهب والأديان ابتغاء الحقيقة .

٣- البلاد الشيوعية التي يحكمها الحزب الواحد هي التعبير الحديث عن القبيلة القديمة ، وهي ميدان من نوع خاص للدعوة الإسلامية - إذا أحسن دخولها من فوق شيخ القبيلة - كذلك دخل التتار والأتراك في

الإسلام .

٤- مسئولية الإسلاميين كبيرة أمام كل من رفع راية الإسلام ونادي بها .

٥- كان لسماع الإخوان للماركسية من أفواه معتنقيها واحتكاكهم بهم عن قرب وتعاملهم اليومي معهم أثر كبير في تقويم الموضوعات من خلال رؤيتها واقعاً يومياً يتعايشون به ويتحكم في سلوكهم .

٦- عرف الإخوان جوهر العمل المطلوب منهم في مرحلة الدعوة عن طريق معرفة قيمة العمل المشترك الذي يتوفر عليه كل المستويات في أخوة وتجرد .

٧- عطاء الإخوان اليوم لهذا العالم الحائر هو نفس عطاء الصدر الأول الذين خرجوا ليغيروا النفوس في الدرجة الأولى وليقدموا للبشرية المنهج الرباني القويم في علاج كل قضايا الإنسان (التوحيد، الحب، الأخوة ، العدالة ، الكرامة ، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، أحلوا لهم الطيبات وحرموا عليهم الخبائث) .

٨- حقائق التاريخ ملك الأمة وليست ملكاً لفرد أو سلطة وهي من الأشياء الواجب على الجميع أن يفتحوا النوافذ ليدخل الهواء المطلق من خلالها.

قل هاتوا برهانكم : بعد أن نجح فريق الإخوان المسلمين في فرض البداية الطبيعية للماركسية وهي المادية الجدلية ، وبعد أن أزالوا مخاوفهم من أي رد فعل مهما كان غرضهم متصادماً مع عقيدة المسلمين ، وبعد أن زكى الإخوان نفوسهم مبدأ الصراحة والتعاون المشترك في البحث عن الحقيقة ألقى الجميع السمع إلى العضو الذي اختاره الإخوان ليتولى العرض لما لمسوه فيه من صراحة وتشجيعاً لبقية زملائه على اقتفاء أثره .

وقد اكتشف الشيوعيون شيئاً هاماً لكل صاحب فكرة وعقيدة ، وذلك هو جوهر السلوك ، وقد قصوا على الإخوان مجموعة من

القصص تشمل أعمالهم وأقوالهم ، وكلها من اختراعاتهم وأكاذيبهم .

وبعد الاستماع إلى الماركسية تبين ما يأتي :

١- أن وجه الإغراء في الماركسية لدى متوسطي الثقافة نابع من أنها أشبه بالدين الذي يعطي فهماً في الوجود والإنسان والحياة والقيم ، ولذلك كان متوسطوا الثقافة هم أخصب الأوساط لانتشار الشيوعية .

٢- الطبقات المحرومة والمظلومة يصادف هذا الكلام لديها وتراً حساساً لعلها تجد منه خلاصاً .

٣- ضعف مواجهة النظام الرأسمالي المليء بالأخطاء والعاجز فكرياً عن الرد على ما يوجه إليه من تهم .

٤- جعل الذين يجهلون الإسلام يظنون أنه يمكن الجمع بين الإسلام عقيدة والماركسية منهج حياة لعلاج الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية .

٥- وجود روسيا دولة كبيرة تكبر في الصدور الضعيفة فيظن أصحابها أن ما تدعو إليه لا بد وأن يكون حقاً .

٦- الإغراءات المختلفة التي تقدمها الماركسية .

٧- سماح القوى الاستعمارية لهذه التيارات بالانتشار والتمكين من السلطة لضرب الروح الإسلامية في المنطقة وفي كثير من الدول الإسلامية .

وقد قال أحد الشيوعيين :[1] إذا صح فرض وجود إله واحد وأن وراء الحياة حياة أخرى فإن النظرة إلى الإنسان ستتغير ويتغير دوره في الحياة وستنقلب فلسفتنا المادية وما تفرع عنها رأساً على عقب وسأضع

(١) من كتاب حوار مع الشيوعيين ، ص٦٧ ، مرجع سابق .

في اعتباري أمر الجنة والنار ، إنَّ كل قيم الحياة ستتغير وسأقول بنفسي للناس " لقد كنت أجهل أمراً جللاً والآن إليكم الطريق القويم " ثم قال :(وعن نفسي فإنها لم تنتبه لهذا و أطمئنكم بأنني سأبعث لأحيا حياة أبدية في جنات النعيم ، فعندئذ يهون عليَّ أن أقضي هذه الحياة مضحياً في هذا الطريق ، حتى ولو عشت طوال عمري أضرب بالنعال).

وقال الزميل فوزي الشيوعي لعدد من الإخوان :(كيف استطعتم الاحتفاظ بروحكم العالية طوال هذه السنوات الخمس ، إننا لنعجب للضحكات المنبعثة من عنابركم ليلاً وكأنكم في حفلة ساهرة ، في الوقت الذي يخيم الصمت على عنبرنا ، لقد كرهنا حتى الكلام العادي وأصبحت أخشى على نفسي الجنون) .

وكانت الإجابة مني :(هي قضية الربح والخسارة ، فكل يوم يمر علينا تقتضيه مسئولية الجهاد نعتبره غنماً يضاف إلى رصيد حسناتنا أمام الله تعالى الذي سيتولى حسابنا في الدار الآخرة ، ويقربنا في هذا المقام إيماننا بالله وباليوم الآخر حتى ينتهي هذا العمر القليل ، حيث نعوض عن كل نصب فيه ، فكل نعيم دون الجنة صغير ، وكل بلاء دون النار عافية ، إن الاتصال بالله تعالى يخفف الألم ، فلا نصل إلى الصورة التي تمرون بها) .

فقال الشيوعي للإخوان :(المهم أنكم متصالحون مع أنفسكم) فقال الأخ للشيوعي :(إني وإخواني كثيراً ما نرى لكم تصرفات تناقض مع معتقداتكم ، فعلى غير وعي منكم تأتون بتصرفات عقدية تكشف عن بذرة القيم الفطرية في النفوس ، والسعادة في الإسلام لا تعني إشباع الرغبات المادية ، بل قد تكون في التضحية بها ، والرسالات السماوية وحدها هي التي تحقق الحرية الحقيقية للناس جميعاً بتخليصهم من عبادة العباد إلى عبادة الله ، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة ،

والمسلم هو صاحب الحق الوحيد في وصفه بالحرية وهو في داخل الأسوار يحسن إدارة ما تبقى له من حقوق وما في مكنته من واجبات ، بينما الذي لا يعبد الله يكون أعجز عن استخلاص الحق والخير الموصلين إلى الله تعالى وهو خارج الأسوار، لأنه أسير القيود والشهوات، والسعادة لا تكون في إشباع الرغبات المادية فقط بل تكون في اكتمال احتياجات الروح المتمثلة في الدوران في مدار الحق والخير الموصلين إلى الله تعالى، حتى تسكن النفس البشرية وتخلو من القلق والصراع المختلف من ضياع مركز التوازن، حتى نجد الفطرة فاطرها) .

ولوحظ في الشيوعيين أنهم لا يثقون في سلوك بعضهم بعضاً فقد كانوا يجدون بعض أفرادهم يخفون أشياء من الطعام واللباس ، وهذا ما لا يحدث في وسط الإخوان .

وفي الندوة التالية نوقشت العناصر الآتية :(متى يصبح الربح حقاً لا سرقة واغتصاباً ؟ وما أهمية القيمة المشروعة ؟) .

وقد كشف التحليل عن الصورة المشروعة للربح وهي بقاء ما عليه النظام الرأسمالي من استغلال ما يسمى بالربح ، واعتبر ماركس أن الربح كله استغلال ، وهي نظرية متطرفة أملتها عليه عقيدته المسبقة، كما كشف عن الدور الاجتماعي الذي يؤديه الربح في تدعيم مبدأ الملكية الخاصة ، باعتبارها أداة الاختبار في المجتمع ، وهنا قال الشيوعي :(أنا لست ماركسياً تقليديا ، وكل ما ابحث عنه هو النظام الخالي من الاستغلال ، سواء على الملكية الخاصة أو الملكية العامة .

ثم نوقشت العناصر الآتية :

- في كل رسالة سماوية شقان ⇦ شق العقيدة وشق الشريعة .
- عوامل الحركة في التاريخ .
- بين التوحيد والشرك .
- مع التفسير المادي للتاريخ .

وحركة التاريخ تتحدد دائماً بعاملين :

(١) الإنسان المكلف . (٢) ظروف الزمان والمكان .

وفي ظل تطبيق سليم للرسالات السماوية ، وفي تقابل سليم بين الإنسان المكلف ، يتحرر كل فرد من جميع القوى الداخلية والخارجية ويتساوى الناس جميعاً في الحقوق والواجبات ، كما تتكافأ المجتمعات من الناحية الإنسانية مهما تفاوتت ظروفها المادية أو اختلفت في العمران ، والانتكاس يصيب النفوس أولاً ذلك لأن الله تعالى لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قومٍ حتى يغيروا ما بأنفسهم ، ولم يُكرِم أي دين الإنسان كما كرمه الإسلام ، ولهذا فنحن نؤمن أنه برسالة الإسلام تقاس عظمة الأمم التي كرمت الإنسان ، كما نؤمن بأن التاريخ كان سجالاً بين الحق والباطل وأنه – لهذا – تعرض الإنسان لنكبات إنسانية كثيرة .وعندما يرتفع مستوى الإنسان الحضاري بالإسلام يتحقق التوازن في جميع ميادين التعامل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية بما يحقق الحرية الحقة والعدالة التامة والمساواة الحقيقية بين البشر ، وعندما ينخفض مستواه بالانتكاس تعود إلى الظهور كل أشكال الصراع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والنفسية .

ونوقش موضوع التفسير المادي للتاريخ نظرياً وواقعياً ، وقد حوى كتاب مراحل النمو الاقتصادي لرستو أول رد علمي غربي على نظرية ماركس في تفسير التاريخ ، وهو يعتبر الإنسان وحده أكثر تعقيداً لأنه يسعى للمصلحة الاقتصادية وللسلطة واللهو والمغامرة وغير ذلك ، فهو في مجال الاختيار التي يرى البشر أنها مفتوحة أمامه .

الإيمان بالله : ثم قال شيوعي في نهاية المناقشة وهو مبتسم ابتسامة الرضا :(هذا خير ما يقال وأنا ليس لدي ما أعقب به سوى أنكم مجموعة ممتازة ضد الاستغلال غيرت الصورة المخفية التي كانت في

نفوسنا عنكم قبل أن نلتقي بكم ، وقد كنا في حاجة إلى إشباع أنفسنا بهذه المعرفة ، لقد اكتملت بين أيدينا أعظم صورة لخير أمة في التشريعات المالية بصفة خاصة وكأننا كنا نكتشف عالماً جديداً ليس عالمنا الذي شوهه الاستعمار في نفوسنا وعزلنا عن مشارق النور) .

ثم جاء دور معرفة منهج الإسلام الواضح في التشريعات المالية من خلال النصوص وتصديق التطبيق الفعلي لها ، وقد اقتضت حكمة الله تعالى وجود خصائص لكل شق من الرسالة الإسلامية المكي والمدني ، كما أن هناك تنزيلاً بين أحضان إحدى البلدتين مكة والمدينة .

الملكية : ونوقشت الملكية من عائد العمل والملكية من عائد رأس المال ، وتبدأ الملكية في الإسلام والعمل المشروع ورعاية الإسلام لكل طرائق الكسب حتى تكون حلالاً طيباً ، فقد حرم الربا والاستغلال وأكل أموال الناس بالباطل والاحتكار وغير ذلك ، كما وضح الإسلام الحركة المشروعة أي العلاقة الإنتاجية بين العمل ورأس المال ، وهي علاقة مشاركة للاستغلال وليست كالرأسمالية ، والأمثلة زراعة الأرض أو إجارتها ، وفي التجارة والصناعة وفي كل مجالات الحركة الخارجية أي العلاقة بين المالك والمجتمع .

وللملكية في الإسلام ضابطان :

الأول : التزام حدود السير ، أي الأوامر والنواهي .

الثاني : أداء حق الغير كالزكاة والصدقات ، ونظام الميراث ، وما تقضيه الضرورة الاجتماعية من تدخل الحاكم لتحقيق التوازن بين الثروات أو بما يفرضه على الملكيات من التزامات لا تتعارض مع روح الشريعة وأصولها .

والزكاة حق المال تلزم صاحبه حال الحياة ولا تسقط بموته ، ومصارف الزكاة موجودة في القرآن الكريم ، والزكاة بمصارفها تدخل

على المجتمعات النامية أو المريضة فتبعث فيها القوة والصحة ثم تعمل بعد ذلك في المجتمع ، وقد أصبح سليماً ناضجاً فتضاعف من نشاطه وحيويته ، والواقع العملي يقول :(إن الزكاة حققت تزكية النفس والثروة في المجتمع) ، وإلى جانب ذلك فإن في المال حقاً سوى الزكاة في إنقاذ المجتمع مما هو فيه .

والزكاة لها خصائص تفردت بها مصدراً وباعثاً وتوجهاً وهي مختلفة عن الضريبة ، وفي ميدان التطبيق من أحيا أرضاً ميتةً فهي له، وقد طبق هذا النظام في داخل الجزيرة العربية ، وفي الأرض التي لا مالك لها ، وفي الأرض التي أسلم عليها أهلها ، وفي أرض الصلح ، وفي الأرض التي فتحت عنوة، وفي أرض الصدقات ، وفي ارض الحمى وفي الثروة الطبيعية .

ونوقش التطبيق خارج الجزيرة العربية ، وكيف أن المنطق النفسي يعزز المنطق القانوني ، كما نوقشت صور الحياة في ظل الخراج ، وكيف استقبلت الشعوب المختلفة الإسلام لأنهم أحسوا فيه بالعدالة والأمن ، حتى إنّ ليفي بروفا نسال يقول :(إنّ الازدهار الزراعي الذي ظهر في أسبانيا بعد الفتح الإسلامي يعود أيضاً إلى التقسيم الكبير لملكية الأرض ، وذلك من أسباب انتشار الإسلام في دول أهل الخراج ونتانجه).

ثم نوقشت مراحل الضعف والتوقف وقصة الأرض في مصر قبل الاستعمار وبعده ، وآفة المسلمين :(الجهل والطبقة العازلة في ظل الاستعمار) ، لذلك عمل الاستعمار على توجيه ضربة قوية إلى الإسلام عن طريق محاصرة العقيدة بأساليب الغزو الثقافي ، والاستعمار النفسي الذي تقوم فيه فرق التبشير وأجهزة الإعلام ودور النشر ومناهج التعليم .

((وقد استأذن ضابط العنبر في كتابة عدة مقالات لمجلة السجون، واحس المناقشون بأنهم محاسبون على النية وأن التوفيق من الله تعالى)) .

مضي مع الشيوعية :

وقد قرر سامي خشبة – صاحب التاريخ الشيوعي – أن دخول الشيوعية تم بسبب الفراغ الفكري الذي كان يعيش فيه ، وأنه وجد من واجبه أن يكتشف حقيقة ما يدور خلف أدمغة هؤلاء الشيوعيين الذين لا يفرغون من انقساماتهم ، وأوضح أن الخلاف بين قادة الشيوعيين كان خلافاً على المراكز الرئيسية في الحزب .

وقال : إنه أتيحت له فرصة التفكير الهادئ بعد ضبطه لأول مرة منذ ثلاثة أعوام ، واكتشف أنه لم يسبق له أن ناقش نفسه مناقشة موضوعية في إمكان القيام بثورة طبقية في مصر على غرار ما حدث في الاتحاد السوفيتي والصين ، وأنه لا يود أن يذكر الديموقراطية الشعبية التي قامت في أوربا بعد تحطيم النازية لأنها حصلت على الحكم الاشتراكي بمساندة الجيش الأحمر ، وأنه بدأ يربي نفسه لإعادة بناء مفاهيمه حتى يحصل على وجهة نظر جديدة غير طبقية وأن استمرار وجوده في السجن هو الذي سيساعده على استكمال هذا التغيير وهذا البناء الجديد ، وبدأ الإعداد لإنشاء مدرسة تربوية واختيار فريق من المعلمين المتحمسين للفكرة ومنهم الشيخ أبو زهرة رحمه الله تعالى ، واتفق على أن تعود محاضراتهم للشيوعيين متناولة المفاهيم الأساسية الصحيحة الخاصة بالمجتمع العربي ، واختاروا ثلاثين شخصاً استمروا في الدراسة أربعة اشهر ثم أفرج عنهم ، وتخرج من المدرسة أكثر من أربعمائة مواطن ساروا في الطريق السليم .

في السجن الحربي :

اعتقلت في السجن الحربي عام ١٩٥٦م وأودعت في زنزانة انفرادية لمدة سبعة وثلاثين يوماً ، وكان في الزنزانة المجاورة لي الزعيم الجزائري الأستاذ الشاذلي المكي الذي اختلف مع الرئيس جمال عبد الناصر فاعتقل وأودع السجن الحربي .

كان يجلس على كرسي خارج الزنزانة وكنت في داخل زنزانتي استمع إليه وأنا واضع أذني تحت فتحة باب الزنزانة ، وكان ذلك في سجن رقم /٤ وقال لي :(لقد أراد جمال عبد الناصر أن يمثل الجزائر في مؤتمر دول عدم الانحياز الذي عقد في الهند في هذا العام ، فاعترضت له وقلت : أنا الذي أمثل الجزائر ، فاعتقلت وعذبت لمدة شهرين عذاباً شديداً ، وفي النهاية قلت للفئة التي تتولى عذابي تحت إشراف ضابط متخصص في التعذيب : لا أقول لكم إلا كما قال سحرة موسى لفرعون ﴿ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴾ (طه : ٧٢) فتركوني ولكنهم منعوا اختلاطي بأحد ، وليس لي حرية الحركة ، مع أن الإسرائيليين المعتقلين في السجن لهم حرية الحركة ولا يعذبون وكل ما يطلبونه ينفذ لهم .

ثم قال :(ولكن الذي لاحظته عن بعد المحبة والتعاطف والابتسامة الدائمة بين الإخوان المسلمين المعتقلين ، فهذا الشاب يعين هذا الشيخ، وهذا الشاب يتحمل التعذيب بدلاً من الشيخ ويفديه بنفسه ، وهذا الأخ يعطي ما يحتاجه إلى من يحتاجه أكثر منه ، لقد سعدت لأني رأيت الإسلام محققاً بين هذه المجموعة ، وقلت : لن تموت دعوة

الإسلام مهما كانت الأشواك والمعوقات والمؤامرات وسيقضي الله أمراً كان مفعولا)،ثم قال :(لقد سرب إليّ الإخوان مصحفاً فحفظت القرآن كله في شهرين ، وأنا سعيد بتعرفي بالإخوان عن قرب ، وبحفظي للقرآن الكريم وبمراجعتي لنفسي ولأعمالي في فترة هادئة .

محاضرات :

ثم نقلنا إلى السجن الكبير بعد أن بدأت الإفراجات عن المعتقلين ، وقد بدأوا في إعطاء المعتقلين شيئاً من الحرية وبدأ الإخوان في تنظيم محاضرات كل في تخصصه أو عن البلاد التي زارها .

وبدأ بعض الإخوان في التدريس لبعض الطلبة ، إعداداً للامتحان في الإعدادية أو الثانوية أو المرحلة الجامعية ، وبدأ الضباط يطلبون من بعض الإخوة إلقاء محاضرات عليهم في ميس الضباط كل في تخصصه .

وأذكر أن مهندساً زراعياً أنشأ وهو في خارج المعتقل – وهو من الإسكندرية – مزرعة للدواجن وتربية الأرانب ، تحدث عن تجربته الناجحة وطلب من الإخوة أن يقوموا بمثل هذا العمل الناجح وأبدى استعداده لمساعدة كل من يحتاج إلى مساعدة ، وقال له أحد الإخوة : لماذا لم تقترح على المسئولين أن يقوموا بمثل هذا العمل الناجح ؟ قال: لقد كتبت إلى الرئيس جمال عبد الناصر بهذا المشروع واستدعتني مباحث أمن الدولة ، وسألتني عن المشروع فأجبت ، وفي النهاية قال لي الضابط : " عيبكم يا إخوان إنه ما مفيش واحد منكم هايف " ثم خرجت ولم يفعلوا شيئاً ولكنهم بعد فترة اعتقلوني كما ترون .

مأدبة :

ولا زلت أذكر مأدبة فريدة من نوعها دعي إليها عدد من الإخوان أكلوا وفرحوا كثيراً وشكروا صاحب الدعوة ، فقد ذهب بعض الإخوة

في طلبة للمطبخ للمساعدة في طبخ الطعام ، وجاء أحد الإخوة ببعض الملح وعلى الملح كانت الدعوة ، كما جاء بعض الأخوة بلقيمات يابسة من بقايا الأطعمة السابقة ، وبالملح وببقايا الخبز الناشف كانت المأدبة الرائعة التي لم تخطر على بال أحد ، وشعر الجميع بالسرور والسعادة وشكروا صاحب الدعوة على هذه المأدبة .

إذلال :

كان صول السجن الكبير متفنناً في تعذيب الإخوان ، وكان حمزة البسيوني يشيد به وبعبقريته في التعذيب ويعده بالترقيات والمكافآت ، وأصابه الغرور واستمر في التعذيب والإهانة ما استطاع إلى ذلك سبيلا .

وجاء ضابط جديد بعد هدوء الحال ، وجاء الصول ليقابل الضابط وكان يسير سيراً عادياً ولم يعجب الضابط ذلك فأمره بالعودة إلى مكانه ثم يأتي بالخطوة السريعة ويؤدي التحية العسكرية ففعل ذلك ، ولكنه أحس بالإذلال أمام الإخوان الذين كان يعذبهم بكل أنواع التعذيب ، ولم يكن يتصور أن هذا يحدث له في يوم من الأيام ، ولكنه لم يستطع أن يخالف الأمر حتى لا يعاقب ، وبعد ذهاب الضابط التف حوله الإخوان بكل الحب وهم يهدئون من روعه ويخففون عنه ما حدث وطلبوا منه الالتجاء إلى الله تعالى وطلب حمايته .

ومنذ هذه اللحظة بدأت معاملته تتغير تغيراً كبيراً وبدأ يتواضع أمام الإخوان وكأنه كان يعتذر لما حدث منه .

وفي مناقشة بيني وبين الأستاذ الشاذلي المكي قلت له :(إن بعض الناس يرون أن الإسلام لم يتحقق إلا مدة أربعين سنة وهي عصر الخلفاء الراشدين ثم انتهى) فقال في انفعال :(لقد كذبوا ، لقد استمر الإسلام يؤدي دوره طوال عشرة قرون كاملة ، ثم حدث ضعف في القيادات ، ولكن المجتمع الإسلامي كان سليماً متمسكاً بدينه حتى دخل

الاستعمار ، ومثل هذا لم يحدث في دين من الأديان ، ولا في حضارة من الحضارات ، ولا في فلسفة من الفلسفات .

في سجن أبي زعبل :

اعتقلنا في سنة ١٩٦٥م ورحلنا إلى سجن أبي زعبل ، وفي الفناء عصبوا أعيننا ثم طلبوا أن نخلع ملابسنا حتى أصبحنا عرايا كما ولدتنا أمهاتنا ، وهنا ظهر الضيق على الإخوان والحيرة ماذا يفعلون ؟! وتأخر بعضهم في الاستجابة ، وقال الضابط المسئول في هدوء وبصوت خافت :(لا تتضايقوا نحن جميعاً رجال ولا حرج عليكم) ثم علمنا أنه من عائلة أبو استيت من محافظة سوهاج ، وفي هذا الموقف أدركنا أن الكلمة الطيبة صدقة قد لا تعدلها صدقة .

ثم لبس الجميع ملابس المتهمين الذين سيقدمون إلى المحاكمة ، وأدخلنا في حجرات كل تسعين شخص في حجرة واحدة ، وكان طول الحجرة تسعة أمتار وعرضها خمسة أمتار ، ومعنى ذلك أن نصيب الفرد بما يحمله من ملابس وأغطية نصف متر فقط ، ومكثنا عدة أيام لا ننام لأن التعذيب كان مستمراً طوال الليل ، والأصوات المرتفعة يسمعها كل من في السجن ، ثم إنه لا يوجد غطاء في هذا البرد القارص .

وفي هذه الفترة أحسسنا بأن الله تعالى يشملنا بعنايته ورعايته ، فقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم ، وقد أفسد الله تعالى مكرهم ، فالطعام الذي كان يأتون به إلينا لا يكفي من ناحية الكم ولا من ناحية الكيف ولا من ناحية النوع ، ولذلك فقد أصيب الجميع بالضعف حتى أن الذي كان يذهب إلى دورة المياه وهي ملحقة بالحجرة يحس بأنه سار مسافات طويلة .

وهذا الضعف كان من نعم الله تعالى علينا ، فلو كان الطعام كافياً من ناحية الكم ومن ناحية الكيف ومن ناحية النوع لكان الإخوة في

حيوية ونشاط ، ترى كيف ينشطون وهم في هذه الدائرة الضيقة ؟ .

وأذكر أن أحد الإخوة احتلم في شهر يناير فاغتسل بالماء البارد في منتصف الليل في شهر يناير وأصيب بالأنفلونزا الحادة وأعطاه رجل حبة إسبرين كان فيها الشفاء العاجل ، وقال :(لو إني كنت في الخارج لأخذت أسبوعاً مريضاً ولا احتجت إلى رشته كاملة ، فالحمد الله على عنايته) .

البـــــق :

ولأنه لا توجد نظافة بالقدر المطلوب ، فإن البق قد انتشر بصورة وبائية ، وكنا نعمل كل ما يمكن للتخلص منه بالنظافة والغسيل ، وكنا نخصص في كل يوم ساعتين لقتل كل أنواعه ، ومع ذلك فقد استمر طوال مدة إقامتنا في السجن ، ولو كنا في ظروف طبيعية لكان هذا سبباً كافياً في القضاء على كل هذه المجموعات ، ولكنها رحمة الله ، وكنا نسمع بعض التعذيب بأن فلاناً قد انتقل إلى رحمة الله من شدة التعذيب ، فكان الجميع يدعون له ويرجون من الله تعالى أن يتغمده برحمته ، وكان هذا يجعل الفقيد قدوة للإخوة فقد مات في سبيل الله، وهو إن شاء الله في رحمة الله تعالى ، وهذا ما يرجوه كل مسلم .

دكتوراه في موضوع جديد :

وكان معنا في حجرتنا الدكتور محمد عبد الله العريان ، الذي قص علينا قصة حياته وقال :(لقد تخرجت من كلية الزراعة بدرجة جيد جداً ثم حصلت على الماجستير من روسيا ، وكان موضوع الرسالة " المخللات " ثم حصلت على الدكتوراه من لندن وكان موضوع الرسالة " التجميد والتبريد " ، وقد توصلت إلى أن خير درجة للتبريد هي ٢٨ درجة تحت الصفر ، وهي الدرجة التي تبقى المجمدات فيها بكامل قيمتها الغذائية وتبقى سليمة لأطول مدة ممكنة ، وهي

رسالة فريدة في نوعها ونتائجها ، ثم عقد في بون بألمانيا مؤتمر في هذا الموضوع ، وكان المؤتمر عالمياً ، وقد دعيت إلى الاشتراك في هذا المؤتمر ، ولكني اشترطت عليهم أن يبعدوا إسرائيل من الاشتراك في المؤتمر ، وإلا فلن أشترك ،وقد وافقوا على هذا الشرط بعد مناقشة هذا الموضوع في جلسة ، وعرضت رسالة الدكتوراه وصدرت التوصية بالعمل لما توصلت إليه من نتائج ، ومما يذكر أن إنجلترا سارعت إلى تغيير مبرداتها إلى درجة ٢٨ تحت الصفر كما توصل إليها الأخ ، وقال :(وجئت إلى مصر فرحاً بما توصلت إليه من نتائج منها إبعاد إسرائيل عن هذا المؤتمر ، وفوز مصري عربي بهذه المكانة والمكافأة والتوصية، وفي المطار اعتقلت وجاءوا بي إلى هنا ، وقلت لهم : إني خارج مصر منذ عدة سنوات فلماذا أعتقل ؟ ، قالوا : إن اسمك عندنا ووجودك في الخارج لا يمنع من الاعتقال !!) .

وسألته بعد أن تخرج من المعتقل هل تبقى في مصر بإمكاناتها المحدودة أم إنك ستسافر إلى الخارج ؟ ، فقال في ابتسامة : هذه هي بلدي وسأبقى بها إن شاء الله تعالى ، وكما يقولون " الشاطرة تغزل برجل حمار !! " وضحك الجميع .

في سجن طره :

سجن طره من المباني القديمة ، التي لا يوجد في حجرتها ماء ولا دورة مياه لقضاء الحاجة ، وكان في كل حجرة مائة معتقل ، وكان هناك مكان لقضاء الحاجة وليس له صلة بالمجاري وكانت الفضلات تنقل عن طريق بعض الأخوة المتطوعين الذين يحملونها في ابتسامة دائمة ونداء " السمين .. السمين حاسب السمين" وهم يقصدون بذلك أن يوسع لهم الإخوة حتى لا تنجس ملابسهم .

الحرارة وأثارها :

وكانت الحرارة شديدة والتهوية قليلة ، ومن هنا فقد انتشرت القرح في الأجسام ، وكانت تطهر بالخرق البالية القديمة الملوثه ، وكان الإخوان يعصرون هذه القرح لإخراج القيح منها حيث لا توجد مطهرات ، ولا أدوية للوقاية أو العلاج ، وقال أحد الإخوة لو كنا في ظروف طبيعية لما بقى واحد منا على قيد الحياة ، ولكنها عناية الله.

الأحلام :

ويحس الإنسان في السجن بأنه تحت رعاية الله تعالى وعنايته ، كما يحس بالصفاء والراحة القلبية والقرب من الله سبحانه وتعالى ، وقد لاحظت أن الأحلام التي كنت أراها في سجن طره وكان يفسرها لي عدد من الإخوان كل على حدة ، بعضهم قد لا يعرف القراءة ولا الكتابه وبعضهم يحمل مؤهلات عالية ، ولكن تفسير الجميع واحد ، قد تحققت .. نعم تحققت كل الأحلام التي رأيتها كما فسرها لي بعض الأخوة ، وحتى الأحلام التي أفزعتني ، فسروها تفسيراً لطيفاً يهدئ النفس ويريح القلب ، وقد تحقق كل ما فسروه .

المحاضرات والندوات :

وبعد أن انتهت التحقيقات ، وساد الهدوء بدأ بعض الإخوان في إلقاء المحاضرات ، كل في تخصصه ، وفي المساء كانت الحجرات تغلق ، وفي حجرتنا بدأنا في عمل ندوة يومية تبدأ بعد صلاة العشاء ، وقد وكل لي المشرف على الندوة أن اتحدث أنا ومعي المتخصصون في اللغة العربية عن طرائف أدبية ، وقبلت ذلك على أساس أن ألقي طرفة في كل أسبوع، ولكن الإخوة جميعاً اعتذروا عن ذلك ، ترى كيف يكون الموقف وقد رأيت أني لا أستطيع أن أحمل هذا العبء وحدي فليس لدي مراجع ولا كتب ولا صحف ، وأخيراً استعنت بالله ، وبدأت أعد في

كل يوم عدداً من الطرائف ، وأعمل على محاولة التذكر وكنت اتذكر في كل يوم جزءاً من كل طرفه ، وأعانني الله سبحانه وتعالى ، واستمر بي الحال في إلقاء الطرف عدة شهور ، وأدركت أن الاعتماد على الذاكرة يجعل المعلومات دائماً حاضرة ، ولهذا كان الناس قديماً يحفظون ولا ينسون ، يحفظون القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة والشعر العربي والطرائف الأدبية .

الحفظ من مرة واحدة :

في ظروفي العادية كنت أحفظ الشعر بعد تكراره عدة مرات وما كنت أظن أني أحفظ النص من مرة واحدة ، ولم يحدث لي ذلك إلا في طرة ، ففي داخل السجن جاء أحد الإخوة من الخارج بعد أن حققوا معه في مباحث أمن الدولة ، وحكى لنا أنه سمع أغنية لأم كلثوم في المذياع ذكرها وهي :

اعطني حريتي أطلق يديا إنني أعطيت ما استبقيت شيئا
آه من قيدك أدمى معصمي لم أبقيه وما أبقى عليـا ؟

وحفظتها من أول مرة ، وتعجبت كيف يسمح لهذه الأغنية أن تذاع في الإذاعة ، لقد كنت أظن أنها موجهة إلى الحاكم ، وبعد خروجي فهمت أنها موجهة إلى الحبيب ، ولذلك أذيعت .

في سجن القلعة :

كانت فترة سجن القلعة هي فترة محاولة غسيل المخ عن طريق المحاضرات التي تلقى علينا ، ولكني لاحظت أن المحاضرين يعلمون أنهم يتحدثون إلى أصحاب دعوة ، وهم يفهمونها ، فلم يحاولوا في هذه الفترة أن يعملوا على مسح المخ كما يقولون في التعبير الحديث ، ولكن الذي لفت نظري أن محاضراً دخل علينا وقال :(صباح الخير) وكانت التحيه المعهودة السلام عليكم ، ولما رأى الرد قليلا تبسم ،

وقال :(هو انا شكلي مش كده ولا إيه) وعرفنا بعد ذلك أنه الدكتور ملاك جرجس أستاذ الصحة النفسية .. وكان لطيفاً فيما قاله ، ومما اذكره له أنه قال :(ستبدؤون حياة جديدة بعد أيام قليلة ، ولا تصدقوا ما يقال بأن ما حدث لكم سيحدث آثاراً في نفوسكم .. إنكم رجال أصحاب دعوة .. وتعلمون أنكم تعملون لله ، وفي سبيل الله ، والله يحفظكم .. فاطمأنوا إليه) ، وكان هذا الكلام من عالم مسيحي وقع طيب في نفوسنا فاستمعنا إليه وناقشناه في بعض الأمور ، ثم خرج ، وفي الخارج بدأت أقرأ كل ما كتب بعين راضية !! .

* * * * *

وبعد ... فقد كان لجامعات يو سف في جميع البلا د آثارها الواضحة في كثير من الميا دين ... وفي النهاية نحن ننتظر نصر الله ... فالله سبحانه وتعالى سينصر من ينصره ، إنه قوي عزيز ... إنه وعد الله ... والله لا يخلف الميعا د ... !! .

الخاتمة

من الملاحظ أن أكثر من بيدهم الأمر يتصفون بالغرور والكبرياء والإصرار على الرأي حتى ولو كانوا على باطل ، فإذا ما ملك أحدهم المادة أو الجاه أو المنصب فرض رأيه على الناس جميعاً ورفض أن يخالف أحد رغبته ، فإذا لم ينصاعوا لأوامره حكم عليهم بالسجن يعانون ما يعانون من القهر والتعذيب ظاناً أنه بذلك سينتصر عليهم نصراً بيناً .

ولكن التجارب التاريخية أثبتت أن أصحاب الرأي والدعوة إلى الله تعالى يتصفون بالصبر والشجاعة والقوة ، وفي داخل السجن يحسون بأن الله تعالى معهم ، ولذلك فإنهم يستمرون في الدعوة إلى الله تعالى وفي تربية من معهم تربية إسلامية كاملة ، وهم يحسون بأنهم يؤدون واجبهم نحو خالقهم ، وبأن الله تعالى يتولى أمورهم ، ولذلك فإنهم يرفضون ما يعرض عليهم من جاه ومن مال ومن مناصب وغير ذلك ، وهم لذلك يتصفون بالصبر الجميل الذي يجعلهم يشعرون بالراحة النفسية والاطمئنان القلبي لأنهم يتعاملون مع الخالق سبحانه وتعالى لا مع البشر ، والدنيا فانية والعاقبة باقية ، وفي داخل السجن يحسون بأن ما هم فيه من متاعب وتعذيب فيه الخير لهم وإن كانوا لا يعلمون وجه الخير .

وأمامهم قصة موسى عليه السلام مع الخضر التي ذكرت في أخر سورة الكهف ، فقد تبين لموسى عليه السلام أن ما ظنه غير مقبول من تصرف الخضر عليه السلام فيه الخير الذي شرحه له بعد أن أنهى المناقشة

التي كانت بينهما ، وقال له : ﴿ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ ﴾ .

قال عن السفينة التي خرقها :﴿ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾ ، وقال عن الغلام الذي قتله :﴿ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ ﴾ ، وقال عن الجدار الذي أقامه ولم يأخذ عليه اجرا : ﴿ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ ﴾ ، ثم قال :﴿ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ .

إلى جانب قصة يعقوب عليه السلام - التي ذكرت في سورة يوسف -حين قال له أخوة يوسف عليه السلام بعد ان القوه في الجب : ﴿ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ فما كان منه إلا أن قال لهم :﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ ﴾، ومرة أخرى عاد أبناؤه من مصر ومعهم التموين الذي اخذوه من يوسف عليه السلام الذي جعله الله تعالى على خزائن الأرض وهم لم يعرفوه لطول المدة التي لم يروه فيها، ولم يكن معهم أخوهم بنيامين قالوا لأبيهم :

﴿ ٱرۡجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمۡ فَقُولُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبۡنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدۡنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمۡنَا وَمَا كُنَّا لِلۡغَيۡبِ حَٰفِظِينَ ﴿٨١﴾ وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا وَٱلۡعِيرَ ٱلَّتِيٓ أَقۡبَلۡنَا فِيهَاۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ ، ولكنه لم يصدق ما قالوه على بنيامين، وقال لهم : ﴿ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٌۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَنِي بِهِمۡ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ ﴾ ، ثم طلب منهم ﴿ يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ ، ثم رجعوا الى يوسف عليه لسلام وقالوا له :﴿ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيۡهِ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهۡلَنَا ٱلضُّرُّ ﴾ وبعد مناقشة عرفوا انه يوسف عليه السلام ، وقال لهم ﴿ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ قَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَآۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ ، فاعترفوا بذنبهم وقالوا له : ﴿ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾ ﴾ ثم طلب منهم :﴿ ٱذۡهَبُواْ بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلۡقُوهُ عَلَىٰ وَجۡهِ أَبِي يَأۡتِ بَصِيرٗا وَأۡتُونِي بِأَهۡلِكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾ ، وفعلوا ما طلب منهم ، فلما جاؤا بأهلهم ﴿ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَبَوَيۡهِ وَقَالَ ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗاۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ

وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ ، ثم شكر ربه قائلاً : ﴿ ۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ ﴾ .

وجامعات يوسف موجودة في الدول الغربية المسيطرة وكذلك الدول الشرقية إلى جانب الدول الإسلامية التي لا تلتزم بمنهج الله تعالى، والمهم السيطرة الكاملة على كل ما يريدون ولا يفكرون في الآخرة .

والمؤمنون لا يهمهم شيء من ذلك كله ، وإنما إرضاء الله تعالى وتبليغ رسالته والدعوة إلى دينه ، وبذلك يرضى الله سبحانه وتعالى عنهم في الدنيا والآخرة ، وهذه أمنية كل مؤمن .

ولمثل هذا فليعمل العاملون

علي القاضي

فهرس

كتب صدرت للمؤلف

١- أضواء على التربية في الإسلام .
٢- وظيفة المرأة في المجتمع الإنساني .
٣- جامعات يوسف .
٤- الحدود في الإسلام هدية الله إلى البشرية .
٥- دور المرأة ومكانتها في الحضارات المختلفة .
٦- ماذا تعرف عن بديع الزمان النورسي .
٧- علم الإنسان في القرآن الكريم .
٨- الحضارة الغربية المترفة تسير إلى الهاوية .
٩- الإسلام يدلل المرأة .
١٠- معارك رمضانية فاصلة في تاريخ الإسلام .
١١- الفن بين الحضارة الإسلامية والحضارات الأخرى .
١٢- أضواء على الغزو الثقافي للمجتمعات الإسلامية .
١٣- مفاهيم إسلامية .
١٤- أوسمة إلهية لخير البرية .   ١٥- لماذا أسلمنا ؟ .
١٦- أضواء على شخصيات إسلامية متميزة .
١٧- أضواء على افتراءات أعداء الإسلام على التاريخ الإسلامي .
١٨- أضواء على الحضارة الإسلامية .
١٩- الحضارة الإسلامية حضارة إنسانية شاملة ..
٢٠- خمسة أسئلة عن الإسلام في العصر الحديث والإجابة عليها.
٢١- رجاء جارودي الفيلسوف الماركسي الذي أسلم .
٢٢- المنهاج الإسلامي لحل المشكلة التربوية في العالم الإسلامي .
٢٣- الحكمة في التشريعات الإسلامية .
٢٤- أوسمة نبوية .   ٢٥- حضارة التوحيد .

كتب تحت الطبع

١- أضواء على كتب إسلامية حديثة .   ٢- الإتكيت (فن الذوق) .
٣- المدينة المنورة عند الهجرة .   ٤- مكة المكرمة عند الهجرة .